حكايات شعبية
من التبت

حكايات شعبية

من التبت

جمعها: الكابتن و. ف. أوكونور
ترجمة: وفيق فائق كريشات

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦م

العنوان الأصلي للكتاب:

FOLK TALES FROM TIBET

Collected and translated by

CAPT. W. F. O'CONNOR

حكايات شعبية من التبت / جمعها و. ف. أوكونور؛ ترجمة وفيق فائق كريشات.– دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦م.– ١٣٢ص؛ ٢٥ سم. (سلسلة آداب عالمية؛ ٢)

١– ٣٩٨.٢٠٩٥١ أ و ك ح ٢– العنوان ٣– أوكونور

٤– كريشات ٥– السلسلة

مكتبة الأسد

مُقَدِّمَة

في تقديم هذه القصص القصيرة للجمهور قد يكون من المثير للاهتمام أن أصف كيف وصلت إليها.

في السنتين اللتين أمضيتهما في التبت، في غيانتسه ولاسا وسواهما، اتخذت أصدقاء كثيرين بين طبقات التبتيين كلها – العليا والدنيا، والأغنياء والفقراء – ولقد تحادثت مع كل أصناف الأشخاص شتى الموضوعات. أثناء تجوالي علمت أن بين ظهراني هذا الشعب الآسر وغير المعروف إلا قليلاً ثروة من الفلكلور، لم يصل إليها إلى حينه مَن في العالم الخارجي، فبذلت الجهود لأجمع من قصصه قدر ما استطعت.

لقد ثبت أن هذا البحث، ولأسباب خاصة معينة، أكثر صعوبة مما توقعت. في المقام الأول، لقد وجدت أن كثيراً من أفضل القصص المعروفة قد استوردت بكاملها من الهند[١] أو الصين، وليس فيها إلا القليل من التلوين المحلي الذي هو أحد مفاتن الفلكلور. الأمر الآخر هو أن بعض أفضل القصص وأكثرها خصوصية غير لائقة للنشر في كتاب كهذا[٢]. وثالثاً، لما

---

(١) قارن، على سبيل المثال، «حكايات تبتية مستمدة من المصادر الهندية»، ترجمها عن الأصل التبتي لصاحبه كان غيور إلى اللغة الألمانية ف. أنتون فون شيفنر. نُقلت إلى الإنكليزية عن الألمانية على يد ر. و. س. رالستن.

(٢) لكنني أحتفظ بها لما يظهر لي من امتلاكها أي أهمية علمية.

كانت الطبيعة الإنسانية هي هي في كل أرجاء العالم، فإنّه لم يكن من الممكن دائماً العثور على حكواتي ذي مزاجٍ مناسب لرواية القصص. إن القصة التي ينقلها راوية عصبي أو متردد تفقد نصف سحرها. والقصة الجيدة يجب أن تكون طبيعية، ويشترط لها المشاركة الوجدانية من جهة الراوية والمستمع كليهما. إن البعثات الدبلوماسية المسلحة والوضعية الرسمية، دعك من كل مسائل الاختلاف في اللغة والجنسية، لا تميل إلى استثارة العواطف المثالية الضرورية لإرساء الثقة المتبادلة الكاملة.

لكن الصبر، ونمو المشاعر الودية عند الطرفين، قد كانا عوناً لي إلى حد ما على التغلب على حذر الناس البسطاء وترددهم، الناس الذين أمدوني بمادتي؛ ومع مرور الوقت، استطعت أن أحصل بالملاطفة على القصة من مصادر كثيرة بعيدة الاحتمال. زعماء القرى والرهبان والخدم والموظفون الحكوميون المحليون والفلاحون والتجار – هؤلاء وغيرهم كثيرون كان لهم نصيب في مخزوني. مع حذر الراوية وتردده في الابتداء، ومع اعتذاراتي وتنصلاتي الخجولة، فإنه كان يبدأ حكايته. لكن جمهور المستمعين التبتيين هو من خير ما يمكن تخيله من جمهور، وسرعان ما كان يذيب جليدَ التحفظ مشاركتُهم الوجدانية وتقديرُهم العلنيان، فتنساب الكلمات بحريّة. ودونما إبطاء يضيع كل حس من التقييد، ولقد علمتُ قصة قوطعت مرّةً لعشر دقائق بمرح خرج عن السيطرة نشأ عن حادث مضحك.

وعليه فإن بعض القصص قد وجب عليَّ استبعادها، بترددٍ كافٍ، استبعادها كليّاً في الوقت الحاضر؛ بعضها يحتاج إلى مزيد تنقيح أو توضيح. أما بقية مخزوني الصغير فإنني أقدمه ها هنا، ومع هذا الاعتذار: ألا وهو أنني

لم أحاول تزيين القصص أو تحسينها. لقد كتبتها كما سمعتها تماماً، ولقد ترجمتها، بالدقة التي قدرت عليها، من العبارات الاصطلاحية التبتية إلى عباراتنا. أما من جهة أصلها أو مدلولها العلمي فلست أقول شيئاً، ولا أقدِّم نظريات. أترك الحكايات تتكلم عن نفسها؛ لكنني أطالب، وسوف أرحب بودّ، بانتقادات كل طلبة الفلكلور وظنونهم، الطلبة الذين هم في موقعِ إعطاء رأي الخبير في نقاط كهذه، وإلقاءِ الضوء على الزوايا الغامضة التي لم يمكنني النفوذ إليها.

لقد ضممت إلى القصص أشعاراً قليلة أُخذت عشوائياً من أغانيِ الحب التبتية الشعبية، بصفتها عيّنة من ثروة الوسائل التعبيرية والعاطفة الشعرية الحقيقية التي توجد عند سكان هذا البلد الغريب. بالنظر إلى الصبغة الاصطلاحية الشديدة وإلى الضغط الشديد للتراكيب العروضية التبتية، فإن ترجمة هذه الأغاني إلى شعر مشابه ولو مشابهة بعيدة، ودون تخريب خصائص الأصل كلياً، تُحدث صعوبات خاصة؛ ويجب علي التماس الغفران لعدم إتقانها وغياب اللمسات الفنية الأخيرة.

الرسوم هي الجهد البكر في الرسم التوضيحي للكتب لفنان تبتي، يقيم في غيانتسِه، وهي كما أخشى، ضعيفة قليلاً في التفاصيل، ذلك أنه بسبب غيابي عن غيانتسِه أثناء عملها فإنني لم أستطع أن أشرف على تنفيذها شخصياً. أما الصورة الممتازة التي تظهر في مقابل صفحة العنوان فأنا مدين بها إلى صديقي وزميلي في غيانتسِه، الكابتن ر.ستين، من القسم الطبي الهندي.

ختاماً، يجب علي التعبير عن شكري وعرفاني للسيد بيرسيفال لاندن، الذي يدين لاقتراحه ديناً عظيماً جمعُ هذه الحكايات ونشرُها، وكذلك توضيحُها برسوم فنان محلي، أضف إلى ذلك أن علي شُكرهُ لتلميحاته القيمة الكثيرة ولمشاركته الوجدانية ومساعدته العظيمتين.

الكابتن و. ف. أوكونور.

كيف حصلت الأرنب على شفتها المشقوقة

كانت أرنب تمشي ذات يوم قدماً في طريق لما صادفت فجأةً، وهي تدور عند منعطف، نمراً كبيراً. أمسك النمر من فوره بالأرنب، وقال إنه سوف يأكلها.

قالت الأرنب، وهي ترفع إبهاميها متضرعة: «من فضلك، من فضلك، يا عمي النمر، من فضلك لا تأكلني، فما أنا سوى دابة صغيرة جداً، وسوف أكون وجبة غير كافية البتة لحيوان كبير عظيم مثلك. أما إذا استبقيت على حياتي فإنني آخذك إلى حيث تجد مخلوقاً أكبر مني بكثير وأسمن يكون لك عشاءً».

قال النمر: «حسناً جداً، وافقت على ذلك. لكن إذا لم تريني حيواناً أكبر منك بكثير، فمن المؤكد أنني سأكون مضطراً لأن آكلك».

وهكذا أُطلقت الأرنب، وسارا معاً قدماً على الطريق.

وبينما هما يسيران قدماً أخذ الليل يهبط، ولما حلك الظلام أخذت الأرنب تتلمظ بفمها وتحدث أصواتاً كما لو أنها تأكل شيئاً طيباً جداً.

سأل النمر: «ماذا تأكلين، يا أختي الأرنب؟».

أجابت الأرنب: «إنني آكل عيني، يا عمي النمر. لقد قلعتها وأكلتها؛ إنها طيبة جداً، وسرعان ما تنبت من جديد».

دهش النمر قليلاً لسماع هذا، لكن لجوعه الشديد مضى يكشط عينه ويأكلها. بعد المضي قدماً مسافة قليلة أخذت الأرنب من جديد تتلمظ بشفتيها، كما لو أنها تأكل شيئاً.

سأل النمر: «ماذا تأكلين الآن، يا أختي الأرنب؟».

أجابت الأرنب: «إنني آكل عيني الأخرى، يا عمي النمر؛ إنها أحسن من الأولى بكثير».

عند سماع النمر الأحمق هذا مضى يكشط عينه الأخرى ويأكلها.

صار النمر الآن أعمى تماماً، فقادته الأرنب حتى شفا هاوية عميقة، وهناك نصحت النمر بالجلوس والاستراحة قليلاً. وبعد أن جلس النمر، قالت الأرنب:

«ألا ترى الجو بارداً، يا عمي النمر؟ هل أوقد لك ناراً؟».

قال النمر: «أجل، يا أختي الأرنب، من فضلك، أعتقد أن النار سوف تكون مفيدة جداً».

وهكذا أوقدت الأرنب ناراً قدام النمر تماماً، ولما ثار أوارها ظلت تضع فيها العيدان وهي تقترب من النمر رويداً رويداً، بحيث إن النمر اضطر إلى أن يظل يتحرك مبتعداً قليلاً قليلاً، وعلى حين بغتة انقلب على ظهره في الهاوية خلفه. حدث الآن أنه لما كان في نصف المسافة إلى قعر الهاوية كانت شجرة تنبت من صدع في الجرف، ولما اجتاز النمر بها أمسك أحد الأغصان بأسنانه، فكبح من سقوطه. رأت الأرنب، وهي تختلس النظر من فوق الحافة، رأت ما حدث، فنادت:

«أوه، يا عمي النمر، يا عمي النمر، هل أنت سالم؟».

خشي النمر أن يفتح فمه لكي يجيب، وكل ما أمكنه فعله هو أن يهرّ: «ام – ام– ام–».

قالت الأرنب: «أوه، يا عمي النمر، هل ذلك هو كل ما يمكنك قوله؟ أخشى أنك قد تأذيت أذى شديداً حتماً. فقط قل «آه!» فأعلم أنك بخير».

لحرص النمر على إرضاء الأرنب، فتح فمه ليقول: «آه!» فسقط حالاً في قعر الهاوية، وهناك وقع على بعض الصخور فقتل.

صباح اليوم التالي مضت الأرنب تحجل في طريقها لما لقيت رجلاً يسوق الكثير من الخيل.

قالت للسائق: «صباح الخير، يا أبت الرجل. هل تحب أن تعرف أين تجد جلد نمر جيداً؟».

«أجل، من فضلك، يا أختي الأرنب»، قال الرجل محدثاً نفسه بأنه سوف يبيع الجلد فينال مالاً كثيراً.

وهكذا أشارت له الأرنب إلى حيث النمر الميت ملقى في الوادي، فانطلق الرجل مسرعاً ليسلخه، بعد أن سأل الأرنب أولاً أن تعتني له بخيله في غيبته.

ما إن غاب الرجل عن البصر حتى رأت الأرنب غرابين جالسين في شجرة فوقها. نادتهما:

«يا أخويَّ الغرابين، انظرا هنا! هاهنا الكثير من الخيل التي ليس لها من يتولاها. لماذا لا تنزلان وتقتاتان على القروح التي في ظهورها؟».

قال الغرابان في نفسيهما إن تلك فكرة حسنة، فطارا هابطين، وجثما على ظهور الخيل، وأخذا يحفران بمنقاريهما في مواقع القروح. سرعان ما نفرت الخيل المسكينة، خوفاً وألماً، وانطلقت تعدو في أرجاء البلاد.

ثم إن الأرنب مضت تحجل في طريقها مسافة قصيرة فصادفت ولداً يرعى غنماً.

قالت الأرنب: «صباح الخير، يا أخي الولد، هل تحب أن تعرف أين تجد عش غراب رائعاً، ملآن بالبيض؟».

قال الولد: «أجل، يا أختي الأرنب، من فضلك»، وهو يقول في نفسه إنه سوف يتسلق الشجرة ويأخذ بيض الغراب. وهكذا أشارت له الأرنب إلى الشجرة حيث يقوم عش الغراب، فذهب الولد يجري ليأخذ البيض، بعد أن سأل الأرنب أولاً أن تعتني له بالغنم في غيبته.

سرعان ما لمحت الأرنب ذئباً على سفح التل غير بعيد، فصعدت إليه وقالت:

«صباح الخير، يا أخي الذئب، هل علمت أن في الأسفل هناك قطيعاً رائعاً من الغنم لا حارس له البتة، وإنني أشير عليك أن تنتهز هذه الفرصة فتقتل بعضها».

اندفع الذئب هابطاً التل من فوره فدخل وسط قطيع الغنم، يبعثره في كل جهة، ويقتل منه بقدر ما حسب أنه يفي بحاجته.

أثناء ذلك تقدمت الأرنب إلى قمة تلٍ عالٍ حيث يمكنها معاينة البلاد بأسرها. من هناك استطاعت أن تميز النمرَ الميت ملقى في الوادي، والرجلُ يجرده من جلده؛ والخيلَ تجري بأقصى سرعة في أرجاء البلاد، والغرابان ينقران القروح في ظهورها؛ والولدَ يسرق عش الغراب؛ والغنمَ التي يطاردها الذئب، وقد تبعثرت في جهات البوصلة الأربع.

لقد استظرفت الأرنبُ المشهدَ جداً حتى إنها أسندت ظهرها إلى صخرة قريبة وضحكت إلى حد أنها بالفعل شقت شفتها العليا. ولقد بقيت مشقوقة إلى هذا اليوم.

النمر والإنسان

يحكى أنه كان هناك نمران يسكنان في إحدى الغابات وكانت لهما أسرة من ثلاثة صغار!؟. أصاب الكِبَر النمر الأب وأخذ يضعف، وقبيل موته أرسل وراء صغاره الثلاثة وخاطبهم كما يلي:

قال: «اذكروا، يا أولادي، أن النمر هو سيد الأدغال؛ إنه يجول كما يشاء ويأخذ من الحيوانات الأخرى فريسة له كما يحب، ولا يمكن لأحد أن ينكر عليه. بيد أنه يوجد حيوان واحد يجب عليكم الاحتراس منه. هو وحده الأقوى من النمر والأمكر. ذلك الحيوان هو الإنسان، وإنني أنذركم بجد قبل موتي أن تحذروا الإنسان، فإياكم مهما يكن السبب أن تحاولوا أن تفتشوا عنه أو تقتلوه».

قال النمر الكبير ذلك واضطجع على جنبه ومات.

أصغت النمور الصغار الثلاثة باحترام إلى كلمات أبيها المحتضر ووعدته بالطاعة؛ وحرص الأخوان الأكبران، وكانا ولدين مطيعين، على اتّباع نصيحته. وقفا اهتمامهما على قتل الأيائل والخنازير وغير ذلك من سكان الغابة، وحرصا على أنهما متى وصلا في مرمى بصر كائن بشري أو شمه أن ينصرفا من هذا الجوار الخطير بأسرع ما يمكنهما. أما النمر الأصغر فقد كان ذا ميل حر وفضولي. ولما أخذ يكبر ويقوى صار يغتاظ من القيد الذي فُرض عليه.

قال في نفسه: «مع ذلك ما عسى هذا المخلوق الإنسان أن يكون حتى إنه لا ينبغي لي أن أقتله إن أحببت. لقد أنبئت أنه مخلوق أعزل ليس إلا ذلك، وأن قوته لا تقاس بقوتي، وأن مخالبه وأسنانه جديرة بالازدراء تماماً. إنني

أستطيع أن أصرع أعظم أيل وأن أقبض على أعظم خنزير بري فلا يكون له إفلات. لماذا، إذاً، لا أستطيع أيضاً أن أقتل الإنسان وآكله؟».

وهكذا وبعد مدة قصيرة، عزم، لغروره وحمقه، على الخروج من جزء الغابة الذي يخصه والتقدم في مغامرة نحو الريف المكشوف بحثاً عن إنسان يكون له فريسة. حاول أخواه وأمه أن يجادلوه بالحجة ويقنعوه أن يذكر كلمات أبيه المحتضر، لكن بلا جدوى؛ وأخيراً، في صباح يوم مشرق، ورغماً عن توسلاتهم وتضرعاتهم، انطلق وحيداً خارجاً في بحثه.

لم يتقدم بعيداً حتى لقي ثوراً مخصياً من ثيران الحمل، هرماً ومرهقاً ونحيلاً ومهزولاً يحمل على ظهره علامات من ندبات قديمة كثيرة. لم يكن النمر الصغير قد رأى قبل ذلك ثوراً قط، فنظر إلى المخلوق بشيء من الفضول. قال متقدماً إليه: «رجاءً، أنت من أي نوع من الحيوانات؟ هل من احتمال أنك إنسان؟».

أجاب المخلوق: «حقاً، لا؛ ما أنا إلا ثور مخصي مسكين».

قال النمر: «آه. حسناً، لعلك تستطيع أن تنبئني عن الإنسان من أي نوع من الحيوانات هو، فأنا قد خرجت لأجد واحداً منه فأقتله».

أجاب الثور: «احذر الإنسان، أيها النمر الصغير؛ إنه مخلوق خطير وغدار. انظر إلي واتخذني مثالاً. لقد كنت خادماًَ للإنسان منذ صغري. لقد نقلت له الأحمال على ظهري، كما قد ترى من هذه الندبات، ولقد استعبدت له سنين كثيرة مخلصاً ومتقناً. لقد اعتنى بي وقدرني تقديراً عالياً ما دمت فتياً وقوياً؛ لكن ما إن صرت كبيراً وضعيفاً، ولم أعد أستطيع القيام بعمله، حتى طردني إلى هذا الدغل القفر أطلب طعامي إن وجدت، ولم يكترث لي في كبري. أنذرك جاداً أن تتركه وشأنه وألا تختبره وتقتله. إنه ماكر وخطير جداً».

لكن النمر الصغير ما كان منه إلا أن ضحك من الإنذار واستمر يمضي في طريقه. وسرعان ما صادف بعد ذلك فيلاً مسناً جائلاً بنفسه على أطراف الغابة، يتغذى بخرطومه على ما يحب من العشب والورق. كان للحيوان المسن جلد مغضن

وعين صغيرة دامعة، وكان وراء أذنيه الضخمتين الكثير من الجروح والندبات القديمة، مبديةً المكان الذي كان كثيراً ما يوضع فيه المهماز.

عاين النمر الصغير هذا الحيوان الغريب بشيء من الدهشة، وقال وهو يتقدم نحوه:

«من فضلك، ما أنت بين الحيوانات؟ لا أظنك إنساناً؟».

أجاب الفيل: «حقاً، لا؛ ما أنا إلا فيل بالٍ مسنٌ مسكين».

أجاب النمر: «هل الأمر كذلك؟ لكن لربما يمكنك أن تنبئني ما الإنسان بين المخلوقات، فأنا الآن أبحث عن طريدة منه لأقتلها وآكلها».

أجاب الفيل المسن: «احذر في بحثك عن الإنسان طريدة، أيها النمر الصغير؛ إنه حيوان غدار وخطير. انظر إلى حالتي. مع أنني سيد الغاب، فلقد روضني الإنسان، ودربني، وجعلني خادماً له سنين كثيرة. لقد وضع على ظهري سرجاً وجعل لأذني ركابين، واعتاد ضربي على رأسي بمنخس من حديد. لقد قدرني تقديراً عالياً ما دمت فتياً وقوياً. كان يؤتى لي بالطعام، بقدر ما أستطيع أكله كل يوم، وكان لي خادم خاص اعتاد على غسلي وتفليتي، وعلى الوفاء بكل رغباتي. لكن لما أصبحت مسناً وشديد العجز عن المزيد من العمل، طردني إلى الأدغال أقي نفسي بنفسي. إن تعمل بنصيحتي تترك الإنسان وشأنه، وإلا حاق بك في آخر أمرك شر الأحوال».

بيد أن النمر الصغير ضحك بازدراء ومضى في طريقه قدماً. بعد أن تقدم مسافة قصيرة سمع صوت أحدهم يقطع الخشب بفأس، وإذ زحف مقترباً فقد وجد أنه حطاب مشغول يقطع شجرة. بعد أن راقبه النمر حيناً، برز من الدغل وسأل الإنسان، وقد تقدم نحوه، من أي نوع من الحيوانات هو. أجاب الحطاب:

«عجباً، يا لك من نمر جاهل؛ ألا ترى أنني إنسان؟».

أجاب النمر: «أوه، هل أنت هو، يا لسعادة حظي. أنا إنما أفتش عن إنسان لأقتله وآكله، وأنت تفي بالغرض جداً».

عند سماع الحطاب هذا أخذ في الضحك، وأجاب: «تقتلني وتأكلني أنا؛ عجباً، ألا تعلم أن الإنسان أذكى من أن يُقتل ويُؤكل من نمر؟ فقط تعال معي مسافة قصيرة فأريك أشياء نافعة لا يعلمها إلا الإنسان، لكنها سوف تكون أشياء من النافع لك جداً أن تتعلمها».

قال النمر في نفسه إن ذلك سيكون فكرة جيدة، فتبع الإنسان مخترقاً الدغل حتى وصلا إلى منزل الإنسان، وكان قوياً مشيداً من الخشب وجذوع الشجر الغليظة.

قال النمر لما رآه: «ما ذلك المكان؟».

أجاب الإنسان: «يدعى ذلك منزلاً. سأريك كيف نستعمله».

وإذ قال ذلك دخل المنزل وأغلق الباب.

قال مكلماً النمر من الداخل: «الآن، أنت ترى ما أحمق النمر من مخلوق بالقياس إلى الإنسان. أنتم أيها الحيوانات المساكين تسكنون في حفرة في الغابة، عرضةً للريح والمطر والبرد والحرارة؛ وكل قوتكم لا جدوى منها في صنع منزل كهذا. أما أنا، وإن كنت أضعف منك بكثير، فأستطيع أن أشيد لنفسي بنفسي منزلاً رائعاً، أسكن فيه مطمئناً، لا مبالياً بالطقس وآمناً من هجوم الحيوانات الهائجة».

عند سماع النمر الصغير هذا انفعل انفعالاً عنيفاً. قال: «أي حق لمخلوق قبيح، أعزل مثلك في امتلاك منزل جميل كهذا؟ انظر إلي، بخطوطي الجميلة، وأسناني ومخالبي العظيمة، وذيلي الطويل. أنا أكثر منك جدارة بالمنزل. اخرج فوراً، وتخلَّ لي عن منزلك».

«أوه، حسن جداً»، قالها الرجل، وخرج من المنزل تاركاً الباب مفتوحاً، فدخل النمر متشامخاً.

نادى النمر الصغير المغرور من الداخل: «الآن، انظر إلي، ألست أبدو جميلاً في منزلي الرائع؟».

أجاب الرجل: «حقاً إنك لجميل جداً»، وأزلج الباب من الخارج وانصرف حاملاً فأسه، تاركاً النمر ليموت جوعاً.

الـوفـاء

سرعان ما ملّ النمر الجلوس في المنزل وحاول الاقتحام خارجاً؛ لكن المنزل كان قد شيد تشييداً قوياً بحيث لا يمكنه أن يؤثر في جدرانه أي تأثير، فكفَّ يائساً وسرعان ما أخذ يعاني معاناة شديدة من الجوع والعطش. مرَّ يومان أو ثلاثة وصار النمر في حال يرثى لها، وإذ به يرى، وهو ينظر من خلال شق في الخشب، أيل مِسْك أنثى صغيرة، وقد نزلت لتشرب من ساقية كانت قريبة من المنزل. لما رأى النمر الأيل ناداها:

«أوه، يا أختي الأيل، هلا جئت من فضلك وفتحت باب هذا المنزل. لقد حُبست في الداخل، وإذ ليس عندي شيء للأكل والشرب فأنا خائف من الموت جوعاً».

خافت الأيل لما سمعت صوت النمر خوفاً شديداً، لكنها لما فهمت كيف هي الأمور اطمأنت، وأجابت:

«أوه، يا عمي النمر، يؤسفني جداً سماع أمر بليتك. بيد أنني أخاف إن فتحت الباب وتركتك تخرج أن تقتلني وتأكلني».

أجاب النمر: «كلا، كلا، لن أفعل، ثقي بي. أعدك مخلصاً أنك إن أطلقتني تركتك تذهبين في سبيلك».

وفقاً لذلك، تقدمت الأيل نحو المنزل ورفعت مزلاج الباب من الخارج، فوثب النمر خارجاً مبتهجاً. ما إن صار النمر في الخارج حتى أمسك بالأيل وقال:

«يؤسفني أمرك جداً، يا أختي الأيل، لكن حقيقة الأمر هي أنني جائع جداً بحيث إنه ليس لي بديل في الواقع سوى أن آكلك حالاً».

أجابت الأيل: «هذا قبيح جداً حقاً؛ بعد أن وعدتني مخلصاً أنك لن تأكلني، وبعد المنفعة التي قدمتها لك، ينبغي عليك أن تبقى وفياً لي».

قال النمر: «وفياً! ما الوفاء؟ لا أعتقد بوجود شيء هو الوفاء».

أجابت الأيل: «لا وجود لذلك؟ حسناً الآن، لنعقد صفقة. سوف نسأل أول ثلاثة أشياء حية نلقاها هل يوجد شيء اسمه الوفاء أم لا. إن قالوا إنه غير موجود، فأنت مرحب بك أن تأكلني؛ لكن إن قالوا إن شيئاً كهذا موجود تركتني أذهب في سبيلي».

قال النمر: «حسنٌ جداً، أوافق على ذلك؛ تلك صفقة».

وهكذا انطلق الاثنان معاً جنباً إلى جنب، وبعد التقدم في الطريق مسافة قصيرة بلغا شجرة عظيمة نابتة على جانب الطريق.

قالت أيل المسك: «صباح الخير، يا أختي الشجرة، نريد أن نحتكم إليك في مسألة طلباً لقرارك».

لوحت الشجرة بأغصانها في الهواء وأجابت بصوت رقيق:

«ما مسألتك؛ يا أختي الأيل؟ إنني مستعدة لأبذل ما بوسعي في عونك».

أجابت أيل المسك: «القضية هي هذه: منذ قليل وجدت هذا النمر محبوساً في كوخ الحطاب في الغابة، غير قادر على الخروج. وناداني يسألني أن أفتح باب الكوخ، واعداً إياي، إن فعلت، أن يتركني أذهب في سبيلي. وهكذا فتحت الباب وتركته يخرج. وما إن أُطلق حتى أمسك بي وتهددني بالقتل والأكل؛ ولما أنّبته على عدم وفائه قال إنه لا يعتقد بأن في العالم شيئاً هو الوفاء. لذلك عقدنا صفقة فاتفقنا أن نسأل أول ثلاثة أشياء حية نلقاها هل في هذا العالم شيء اسمه الوفاء أم لا. إن قالوا إنه غير موجود، كان للنمر أن يقتلني ويأكلني؛ أما إن قالوا إن شيئاً كهذا موجود، كان لي أن أذهب في سبيلي. هلا أعطيتنا، من فضلك، رأياً هل يوجد شيء هو الوفاء أم لا».

لما سمعت الشجرة العظيمة هذه القصة حركت أغصانها ببطء في النسيم وأجابت كما يلي:

«إنني، يا أختي الأيل، مهتمة جداً بقصتك، وسوف أقدم لك العون بسرور إن أمكنني ذلك؛ بيد أنني ملزمة بأن أجيب على مسألتك بأمانة وبحسب تجربتي أنا في الحياة. الآن انظري إلى حالتي. أنا نابتة هنا على جانب الطريق أنشر أغصاني على الطريق واسعة التربة مستعدة لأن أهب للإنسان والحيوان الوقاية في ظلها. والمسافرون العابرون دائماً جيئةً وذهاباً على الطريق يستفيدون من هذا الملجأ البارد، فيأتون هم ويجلبون دواب حملهم المسكينة ليستريحوا في ظلي. ماذا يحصل بعدئذ؟ هل يشكرونني على الراحة التي قدمتها لهم؟ هل يستلهمون من مثالي أي اعتبار للآخرين؟ معاذ الله. بعد أن يستريحوا وينتعشوا بقدرٍ كافٍ، يستأنفون السير في طريقهم، ولا يمتنعون فقط عن شكري على كرمي، بل يكسرون أغصاني الطرية ويستعملونها سياطاً، لإيقاع المزيد من النخس والوجع بحيواناتهم المنهكة. هل لتصرف كهذا أن يدعى وفاء؟ كلا، إنني ملزمة بالقول إن تجربتي في الحياة تقودني إلى القول بأنه ليس في هذا العالم شيء هو الوفاء».

أصابت الكآبة أيل المسك المسكينة كثيراً عند سماع هذه الكلمات، وتحركت هي والنمر قدماً معاً إلى أن أبصرا، بعد قليل سيرٍ على الطريق، جاموسة وعجلها يرعيان بهدوء في حقل من العشب الريان. لاحظا أن الجاموسة المسنة قد أقنعت نفسها بأصغر رقع العشب وأكثرها يباساً، بينما كانت تدل عجلها أين يعثر على أغنى المراعي وأخصبها، وأنها قد حرمت نفسها طواعيةً من كل رفاهية من أجل تقديم السرور للصغير. دنا النمر والأيل من الجاموسة المسنة، وقالت الأيل وهي تخاطبها:

«صباح الخير، يا خالتي الجاموسة! عندنا، هذا النمر وأنا، أمر صغير نحب أن نحتكم فيه إلى رأيك».

حدقت الجاموسة فيهما بعينيها الكبيرتين، وبعد أن اجترت قليلاً أجابت ببطء:

«استأنفي الكلام، ياأختي الأيل، فأنا مستعدة لأعطيك رأيي بأكمل ما يمكنني».

قالت الأيل: «حسناً، كان هذا النمر محبوساً في كوخ في الغابة، ولعجزه عن فتح الباب، فقد كان في خطر الموت جوعاً. وصادف أن كنت مارة، فناداني يطلب مني مساعدته على الخروج، واعداً إياي بأن يُبقي على حياتي إن فعلت ذلك. وهكذا فتحت الباب وأطلقته. لكنه ما إن صار حراً حتى أمسك بي وقال إنه سيقتلني ويأكلني؛ ولما أنَّبتهُ على عدم وفائه، أجاب بأنه لا يؤمن بوجود شيء هو الوفاء. لذلك عقدنا صفقة اتفقنا فيها على أن نسأل أول ثلاثة أشياء حية نلقاها هل يؤمنون بوجود شيء هو الوفاء أم لا. إن قالوا إنه غير موجود، كان للنمر أن يأكلني؛ لكن إن قالوا إن شيئاً كهذا موجود، كان لي أن أذهب في سبيلي. الآن، هلا أعطيتنا من فضلك رأيك في الأمر».

عند سماع الجاموسة المسنة هذا القول استمرت في المضغ والاجترار لدقائق، ثم أجابت بوقار:

«سوف يسرني تقديم العون لك، يا أختي الأيل، في الأمر إن أمكنني ذلك؛ لكن يجب عليَّ أن أعتبر الأمر من خلال تجربتي أنا في الحياة. إنني أنظر في حالتي أنا وعجلي. ما دام العجل صغيراً وضعيفاً، فإنني أبذل ما في وسعي لتغذيته ورعايته. أولاً أعطيه لبني، ثم إنني، كما ترين، أحثّه على رعي أحسن الكلأ، بينما أقتّر على نفسي سعيدة لأجل أن يحصل على الكثير من أحسن كل شيء. لكن ماذا يحصل فيما بعد، عندما يقوى العجل ويمتلئ حيوية؟ هل يتذكر أمه المسنة معترفاً لها بالجميل ويقيها في كبرها؟ معاذ الله. ما إن يكبر على نحو كافٍ حتى يطردني من الأماكن التي أرعى فيها ويأخذ لنفسه أفضل الأشياء، وسوف يطردني كلياً من المراعي إن أمكنه ذلك. هل يمكن لذلك أن يدعى وفاءً لأمه؟ كلا؛ إن تجربتي تجعلني أعتقد بأنه ليس في هذا العالم شيء هو الوفاء».

لما سمعت أيل المسك هذا حزنت جداً، وتوقعت تماماً أن تُقتل وتُؤكل دون مزيد تأخير؛ لكنها توسلت إلى النمر أن يعطيها فرصة أخرى، قائلة إنها على أتم الاستعداد للالتزام برأي الشخص الثالث الذي يلتقيانه.

رضي النمر بهذا، وبعد المضي بسيرهما معاً قليلاً لقيا أرنباً، تحجل بهدوء قادمة في الطريق نحوهما.

نادت أيل المسك: «صباح الخير، يا أختي الأرنب؛ هلا منحتِنا لحظات من وقتك لتعطينا رأيك في نقطة خلاف نشأت بين هذا النمر وبيني؟».

أجابت الأرنب، وهي تقف وسط الطريق: «بالتأكيد، سوف يبهجني أن أفعل خير ما يمكنني لكما».

أجابت أيل المسك: «حسناً، الحقائق هي كما يلي: كنت قبيل قليل أشرب من ساقية في الغابة لما لاحظت هذا النمر محبوساً في كوخ الحطاب. كان الباب مغلقاً بمزلاج من الخارج، وكان عاجزاً عن الخروج، وكان يحيق به خطر الموت جوعاً، فناداني سائلاً إياي أن أطلقه، واعداً، إن فعلت، بأن يُبقي على حياتي. وفقاً لذلك فتحت الباب؛ لكن ما إن خرج النمر حتى أمسك بي قائلاً إنه جائع جداً ولا بديل له سوى أن يلتهمني في مكاني. ولما أنّبتُه على عدم وفائه، أجاب أنه لا يدري ما هو الوفاء، وأنه، في الحقيقة، لا يؤمن بوجود شيء كهذا. لذلك عقدنا صفقة اتفقنا فيها أن نسأل أول ثلاثة أشياء حية نلقاها هل يوجد في هذا العالم شيء هو الوفاء أم لا يوجد. إن قالوا إنه موجود يكن لي أن أذهب في سبيلي؛ لكن إن قالوا إنه غير موجود يكن للنمر الحرية في قتلي وأكلي. لقد استشرنا في الأمر إلى الآن شخصين، وكان الاثنان كلاهما من أصحاب الرأي بأنه ما من شيء هو الوفاء. أنت الثالثة والأخيرة، وعلى قرارك تتوقف حياتي».

أجابت الأرنب: «ويلي، إن هذه لقصة غريبة جداً، وقبل أن أعطي رأياً في أمر مهمّ جداً فمن الضروري أن أفهم بالضبط كيف حدث برمته. دعيني أرى. تقولين أنك كنت محبوسة في كوخ الحطاب».

اقتحم النمر الحديث قائلاً: «كلا، كلا؛ أنا الذي كنت محبوساً في كوخ الحطاب».

قالت الأرنب: «أوه! لقد رأيت؛ أيل المسك، إذاً، هي حتماً التي حبستك».

قالت أيل المسك مقاطعة: «أوه! كلا. لا يبدو أنك تفهمين البتة؛ لم يحدث الأمر بهذه الطريقة».

قالت الأرنب: «حسناً، القصة معقدة بحيث إنه من الصعب علي أن أتتبعها بالضبط. لذلك قبل إعطاء قرار فإنني أقترح أن نمضي جميعاً إلى مسرح الفعل، وهناك يمكنكما أن تشرحا لي بالضبط ما قد وقع».

وافق النمر وأيل المسك على هذا، وانطلق الثلاثة معاً حتى وصلوا إلى كوخ الحطاب في الغابة.

قالت الأرنب: «الآن، هلا شرحتما لي من فضلكما بالضبط ما حدث. مثلاً، أين كنت، يا أختي الأيل، حين كلمك النمر؟».

«كنت تحت هناك أشرب من الساقية، هكذا»، أجابت الأيل وهي تذهب إلى المكان المقصود.

قالت الأرنب: «وأين كنت، يا عمي النمر؟».

«حسناً، كنت داخل الكوخ، هكذا»، أجاب النمر وهو يدخل المنزل.

قالت الأرنب: «والباب، على ما أظن، كان حتماً مغلقاً، هكذا؟» وأغلقت الباب، وهي تقول كذلك، وأزلجته؛ ومضت هي والأيل في طريقهما بسلام، تاركتين النمر محبوساً في الداخل، حيث مات جوعاً بعد ذلك بوقت قصير.

الجاران

يحكى أنه كان هناك جاران يسكنان في منزلين، جنباً إلى جنب، في القرية نفسها. كان أحدهما غنياً، والآخر فقيراً. كان الغني، واسمه تسي–رينغ، متكبراً ومتغطرساً وبخيلاً؛ أما الفقير، واسمه تشام–با، فكان رجلاً رقيق القلب، كريماً مع كل أحد بقدر ما تتيحه له موارده.

الآن صادف أن زوجين من الدوري أتيا وعملا عشهما في إفريز فوق مدخل منزل الفقير، ثمَّ فقس البيض، بعد مرور الوقت اللازم، عن عصافير صغيرة. ذات يوم، قبل أن تتعلم العصافير الصغيرة الطيران، كان طائرا الدوري الكبيران خارجاً يفتشان عن طعام، فسقط أحد الصغار من عشه على عتبة باب الفقير، وكسرت رجله. بعيد ذلك عند مجيء الفقير إلى منزله رأى الدوري الصغير ملقى بائساً على عتبة بابه، فالتقطه ليرى ما حاله، فوجد أن رجله مكسورة. وهكذا حمله فأدخله المنزل، وعصب رجله بحرص شديد بقطعة من خيط؛ ومن ثم حمله إلى السقف، وردّه إلى العش.

الآن كان هذا الدوري في الحقيقة، ومع أن الفقير لم يكن يدري، من الجن متنكراً، وفيما بعد، وبعد أن كبر، طار خارجاً ذات يوم ورجع ومنقاره ملآن بحبة. كان الفقير جالساً في منزله لما دخل الدوري الصغير طائراً وجثم على الطاولة أمامه. رمى الحبة على الطاولة، وبعد أن زقزق مرة أو مرتين قال للرجل:

«هذه الحبة هي جزاء معروفك معي. ابذرها في حديقتك وانظر ماذا يخرج»، وإذ قال ذلك فقد انصرف طائراً.

دهش الفقير كثيراً لسماع الدوري يتكلم، فقال في نفسه:

«حسناً، ليست هذه بالهدية القيمة، ومع ذلك فهي تبين كيف يمكن لطائر صغير أن يكون شكوراً لمعروف عمل معه؛ وعلى كل حال سأبذر الحبة في حديقتي كما أشار».

وهكذا بذر الحبة قدام منزله تماماً، وسرعان ما نسي أمر الحادثة.

بعد شهر أو اثنين نبتت الحبة وسرعان ما بلغت طولها الكامل؛ وفي ذات يوم دُهش الفقير، وهو ذاهب لينظر إليها، إذ وجد أن كل كوز ذرة يحتوي، بدلاً من الحب، جوهرة ثمينة. ابتهج لهذا الاكتشاف ابتهاجاً عظيماً، وإذ جمع الجواهر جميعاً فقد حملها إلى بلدة مجاورة، وهناك استطاع أن يبيعها بمبلغ عظيم من المال، وعلى هذا النحو وجد نفسه في حالة من الرفاهية والرخاء العظيمين.

بعد هذا مباشرة أقبل الجار الغني، وقد لاحظ التغيير الذي طرأ على ظروف الفقير، أقبل ذات يوم محاولاً أن يعلم كيف أصبح تشام–با بهذا الغنى والرخاء. حمل معه إبريقاً من البيرة، وعرض على جاره أن يشرب، متظاهراً بحب اللهو، وأثناء الحديث الذي دار بعد ذلك سأل تشام–با أن يخبره بسر ثروته الجديدة. لما كان تشام–با من طبيعة غير مرتابة البتة فقد روى له قصة الدوري والحبة والجواهر بتمامها، وإذ علم الغني السر فقد رجع إلى منزله، يتفكر ملياً كيف يستطيع أن يحول هذه القصة إلى صالحه هو.

صادف الآن أن دورياً أنثى فقس صغيرها في عش أيضاً فوق باب منزله هو تماماً. وهكذا في اليوم التالي صعد إلى السقف، وانحنى من فوق الحاجز وأخذ الدوري الصغير من العش بعودي الأكل، ورماه على الأرض تحت، فانكسرت رجل الطائر الصغير المسكين. ثم إنه نزل، فالتقط الدوري الصغير، وضمد رجله بقطعة من خيط، وردّه إلى عشه، قائلاً وهو يفعل ذلك إنه يأمل في أن يتذكر معروفه.

وكما هو مرتقب، لما كبر الدوري طار داخلاً إلى منزله ذات يوم، وجثم على الطاولة أمامه. ألقى من منقاره حبة، وبعد زقزقات تمهيدية قال:

«هذه الحبة هديةٌ جزاءً على معروفك معي. ابذرها في حديقتك وانظر ماذا ينبت منها».

ابتهج الغني لسماع هذا ابتهاجاً عظيماً، وقال في نفسه إنه سرعان ما سيكون مالكاً لجواهر جميلة مثل جاره. أعدَّ في حديقته مسكبة بعناية شديدة، وبذر الحبة في أغنى جزء من التربة. اعتاد كل يوم أن يذهب إلى البقعة ويتفرج عليها، متفحصاً بعناية الفروع الجديدة ليرى كيف تتقدم.

أخرجت البذور أول أوراقها ونمت بسرعة كبيرة، وذات صباح، لما خرج كالمعتاد لينظر حال محصوله، ولدهشته وجد، بدلاً من سويقات شعير قليلة، كان يتوقعها، وجد رجلاً عظيماً ذا طلعة عنيفة، تحت ذراعه رزمة أوراق، واقفاً وسط المسكبة. خاف الغني جداً لمرأى هذا الغريب الضاري الطلعة، وسأله من يكون.

أجاب الظاهر من جديد: «لقد كنت من دائنيك في إحدى وجوداتك السابقة[١]. لقد كنت حينئذ مديناً لي بالكثير، ولقد رجعت إلى هنا ومعي كل المستندات الضرورية التي تثبت دعواي بدينك لي».

وإذ قال الغريب ذلك، فقد استولى على منزل الغني وأبقاره وغنمه وأراضيه وكل ما يملك، وردّ الغني إلى منزلة العبد في بيته.

بعد ذلك بشهور، خرج تشام-با، وقد أصبح الآن من أهل الغنى والرخاء، مسافراً، وقبيل مسيره طلب من تسي-رينغ أن يضع عنده حقيبة له ملأى بالتبر، وأن يحفظها إلى حين عودته. تولى تسي-رينغ أمر الذهب، لكنه في جديد حالته من الفقر والعوز لم يستطع مقاومة الإغراء بإنفاق بعض الذهب، وأخيراً وجد أن الذهب بكامله الذي ولي أمره قد نَفَدَ. وإذ لم يدر ما عساه يفعل فإنه ملأ الحقيبة رملاً، وأخذ ينتظر بارتعاش عودة جاره.

وبعد أيام قلائل عاد تشام-با من سفره، وقصد جاره، وطلب منه حقيبة الذهب التي له. أخرج تسي-رينغ الحقيبة، وناولها تشام-با دون أن يقول شيئاً، ولما فتحها تشام-با لينظر هل أمر الذهب على ما يرام وجد أنها تحوي رملاً بدلاً من الذهب.

---

(١) يؤمن التبتيون بأن روح الإنسان تنتقل بالموت من بدنه إلى بدن آخر - المترجم.

قال: «كيف هذا؟ لقد أودعت عندك حقيبة من التبر، وقد أعدت لي رملاً فقط».

لم يكن عند الجار الخائن جواب. فتظاهر أنه قد دهش كثيراً، وكل ما أمكنه قوله هو:

«يا صاحبي، لقد انقلب إلى هذا! يا صاحبي، لقد انقلب إلى هذا!».

لم يقل تشام–با شيئاً بعد ذلك، بل حمل حقيبته إلى منزله.

سرعان ما أعلن تشام–با بعد ذلك عن عزمه على افتتاح مدرسة للأولاد الصغار، يتعلمون فيها بالمجان، فأرسل تسي–رينغ، الذي اعتقد أنه لا يمكن تجاهل فرصة نيل ابنه تعليماً مجانياً، أرسل ابنه للدوام في المدرسة. بعد ذلك بأيام قلائل وجد نفسه مضطراً إلى القيام برحلة قصيرة إلى بلدة مجاورة، وقبل انطلاقه أودع ابنه الصغير عند جاره، تشام–با، وسأله أن يعتني بالولد إلى حتى عودته.

ما إن رحل حتى جلب تشام–با قرداً أليفاً وعلمه أن يقول الكلمات التالية:

«أبي الفاضل، لقد انقلبت إلى هذا! أبي الفاضل، لقد انقلبت إلى هذا!».

لما رجع تسي–رينغ من سفره، قصد ذات يوم المدرسة التي في المنزل لينظر كيف يتقدم ابنه، فوجد تشام–با جالساً هناك يعلم الأولاد دروسهم. جال تشي–رينغ ببصره ليرى ابنه، بيد أنه لم يتبيّنه في أي موضع، بل لحظ لدهشته قرداً على أحد المقاعد.

سأل تسي–رينغ: «أين ابني؟ وكيف يتقدم؟».

لم يقل تشام–با شيئاً، بل التقط القرد وحمله إليه.

قال تسي–رينغ: «ماذا تعني بهذا؟ ليس هذا هو ابني. أين الولد الذي أودعته في عنايتك؟».

هنالك تكلم القرد فقال:

«أبي الفاضل، لقد انقلبت إلى هذا! أبي الفاضل، لقد انقلبت إلى هذا!».

استشاط الأب غضباً وانقض على جاره، تشام–با، للحظات، لكن دون أن يحدث أثراً. وأخيراً، وبعد التفكير في الأمر ملياً قرر أنه من الخير له أن يدفع عوضاً عن الذهب الذي اختلسه، بشرط استرداد ابنه الحقيقي.

الهرة والفئران

يحكى أن هرة كانت تسكن في منزل كبير في إحدى المزارع فيه عدد كبير من الفئران. لسنين كثيرة لم تجد الهرة مشقة في الإمساك بما تشاء من الفئران لأكلها، وعاشت عيشاً هادئاً وسارّاً. لكن مع مرور الزمان وجدت أنها آخذة في الكبر والعجز، وأن المشقة تزداد عليها في الإمساك بالعدد نفسه من الفئران كما قبل؛ ولذلك بعد التفكير بعناية شديدة في خير ما تفعله، دعت الفئران جميعاً ذات يوم، وبعد أن وعدتهم بألا تمسهم، خاطبتهم كما يلي:

قالت «أوه! أيها الفئران، لقد دعوتكم جميعاً لأقول لكم شيئاً. الحقيقة هي أنني قد عشت عيشة شريرة، وأنا الآن، في كبري، قد تبت عما سببته لكم من إقلاق وإزعاج. لذلك سوف أقلب صفحة جديدة من أجل المستقبل. لقد نويت الآن أن أفرغ نفسي كلياً للتأمل الديني ولن أضايقكم بعد الآن، لذلك فإن لكم ابتداءً من الآن مطلق الحرية في الجري في أرجاء المكان وكما تحبون دون خوف مني. كل ما أطلبه منكم هو أن تصطفوا جميعاً صفاً واحداً، وتمرون من أمامي في موكب مرتين في اليوم وأن ينحني كل واحد منكم انحناءة احترام عند مروركم أمامي، أمارةً على عرفانكم لي للطفي معكم».

لما سمعت الفئران هذا سرت سروراً عظيماً لأنها اعتقدت أنها الآن وأخيراً سوف تتحرر من كل خطر لعدوّتهم السابقة، الهرة. وهكذا قطعت شاكرةً وعداً

بأن تفي بشروط الهرة، ووافقت على الاصطفاف والمرور أمامها وأخذ السلام مرتين في اليوم.

وهكذا لما حل المساء اتخذت الهرة مجلسها على وسادة في أحد طرفي الغرفة، ومرت بها الفئران جميعاً في صف واحد، كل واحد منها متخذاً تحية سلام عميقة وهو يمر.

الآن كانت الهرة المسنة الماكرة قد دبرت هذه الخطة الصغيرة بعناية لغاية في نفسها؛ لأنه ما إن مرَّ الموكب بكامله باستثناء فأر صغير واحد، حتى أمسكت بغتة بالفأر الأخير بمخالبها دون أن يلحظ أحد ما حصل، والتهمته في وقت فراغها. وهكذا مرتين في اليوم، كانت تمسك الفأر الأخير في السلسة، وعاشت زماناً طويلاً مستريحة دون مشكلة البتة في الإمساك بفئرانها، ودون أن يدرك أي واحد من الفئران ما كان يحصل.

الآن صادف أنه كان بين هذه الفئران صديقان، اسماهما رامبِه وآمبِه، متعلقين تعلقاً شديداً أحدهما بالآخر. كان هذان الفأران أكثر ذكاءً من الآخرين وأمكر بكثير، وبعد أيام قلائل لاحظا أن عدد الفئران في المنزل يتناقص، على ما يبدو، تناقصاً كبيراً، رغم حقيقة أن الهرة قطعت وعداً بألا تقتل منهم بعدُ. وهكذا أعملا فكريهما معاً ودبرا خطة صغيرة للمواكب التالية. لقد اتفقا أن يمشي رامبه دائماً في مقدمة موكب الفئران، وأن يكون آمبه في المؤخرة، وأنه طوال مدة مرور الموكب، ينادي رامبه إلى آمبه ويجيب آمبه على رامبه بفواصل متواترة. وهكذا في المساء التالي، لما ابتدأ الموكب كالمعتاد، سار رامبه قدماً في المقدمة، واتخذ آمبه مكانه في آخر الجميع. حالما مرَّ رامبه بالوسادة حيث تجلس الهرة وقدم تحية السلام، نادى بصوت حاد:

«أين أنت، يا أخي آمبه؟».

أجاب الآخر من مؤخرة الموكب بصوت قصير حاد: «أنا هنا، يا أخي رامبه». وهكذا استمرا أحدهما ينادي والآخر يجيب حتى مرَّ الجميع صفاً واحداً بالهرة، التي لم تجرؤ على مسّ آمبه مادام أخوه ظل يناديه.

من الطبيعي أن الهرة قد أزعجها أن تنصرف ذلك المساء جائعة، وظلت نزقة طوال الليل. لكنها قالت لنفسها إن الصدفة وحدها هي التي أتت بالصديقين، واحداً في مقدمة الموكب وواحداً في مؤخرته، ولقد أملت أن تعوض عن إمساكها الإجباري عن الطعام بأن تجد فأراً سميناً خاصاً في آخر الموكب في الصباح التالي. لكن كم كان زهولها واشمئزازها لما وجدت أنه في الصباح التالي قد عُمل نفس التدبير بعينه، وأن رامبه ينادي آمبه، وآمبه يجيب رامبه إلى حين مرور الفئران بأسرها بالهرة، وهكذا للمرة الثانية، أُحبطت خطتها في الحصول على وجبة. لكنها أخفت ما عندها من مشاعر الغضب وقررت أن تختبر الفئران اختباراً آخر؛ وهكذا اتخذت في المساء مجلسها على الوسادة كالمعتاد وانتظرت ظهور الفئران.

في غضون ذلك، أنذر رامبه وآمبه الفئران الأخرى لأخذ الحذر، وللاستعداد للفرار لحظة إظهار الهرة لأي من مظاهر الغضب. وفي الوقت المعين انطلق الموكب كالمعتاد، وما إن مرَّ رامبه بالهرة حتى صاح بصوت قصير حاد:

«أين أنت، يا أخي آمبه؟».

«أنا هنا، يا أخي رامبه»، جاء الصوت الحاد من المؤخرة.

كان هذا أشد من احتمال الهرة. لقد وثبت وثبة ضارية وسط الفئران، لكن أولئك كانوا على أتم الاستعداد لها، وفي لحظة واحدة انصرفوا يعدون في كل جهة إلى الجحور. وقبل أن تحظى الهرة بوقت للإمساك بفأر واحد كانت الغرفة قد خلت فلم يُر أثر لفأر في مكان ما.

بعد هذا صارت الفئران شديدة الحرص على ألاَّ تضع بعدُ ثقتها في الهرة الخائنة، التي سرعان ما ماتت من الجوع لعجزها عن تدبير أي شيء من غذائها المعتاد؛ أما رامبه وآمبه فعاشا سنين كثيرة، ولقد عاملهما كل الفئران في الجماعة بتكريم وتقدير.

الكيانغ والثعلب والذئب والأرنب

ذات يوم كان ذئب جائع يجول بحثاً عن شيء يأكله في أعالي وادٍ من أودية التبت بعيداً جداً عن مستوى الأرض المحروثة، لما صادف كيانغ[(١)] عمره سنة واحدة تقريباً. تقدم الذئب من فوره ليطارد الكيانغ خلسة، محدِّثاً نفسه أنه سيتخذ منه وجبة ممتازة، ولما كان على وشك الإمساك به خاطبه الكيانغ، وقد لاحظ دنوه، كما يلي:

«أوه، يا عمي الذئب، لا خير لك في أكلي الآن؛ هذا وقت الربيع وبعد الشتاء القاسي أنا لا أزال نحيفاً جداً. إن تنتظر شهوراً قلائل حتى الخريف التالي فإنك ستجد أنني قد سمنت ضعف ما أنا عليه الآن وسوف أكون لك وليمة أفضل بكثير».

قال الذئب: «حسناً جداً، سوف أنتظر إلى ذلك الحين، شرط أن تلقاني في هذه البقعة نفسها خلال ستة شهور».

وإذ قال هذا، فقد انصرف يعدو بسرعة بحثاً عن فريسة أخرى.

لما جاء الخريف انطلق الذئب ذات صباح للقاء الكيانغ في المكان الموعود، وبينما كان يجتاز التلال صادف ثعلباً.

قال الثعلب: «صباح الخير، يا أخي الذئب. إلى أين تذهب؟».

أجاب الذئب: «أوه! أنا أقصد الوادي لألقى كيانغ فتياً أنا على موعد معه، فقد دبرت أمر الإمساك به وأكْله هذا اليوم بعينه».

(١) هو الحمار البري في التبت – المترجم.

أجاب الثعلب: «إنه لشيء سارٌ جداً لك، يا أخي الذئب؛ لكن لما كان الكيانغ حيواناً ضخماً جداً عليك فإنك لن تكاد تقدر على أكله كله بنفسك. آمل أن تسمح لي بالمجيء أيضاً والاشتراك في الغنيمة».

أجاب الذئب: «بالتأكيد، يا أخي الثعلب. سوف أسرُّ جداً بصحبتك».

بعد ذلك استأنف الاثنان السير معاً. بعد التقدم مسافة قصيرة صادفا أرنباً.

قالت الأرنب: «صباح الخير، يا أخي الذئب ويا أخي الثعلب؛ إلى أين تذهبان في هذا الصباح الجميل؟».

أجاب الذئب: «صباح الخير، يا أختي الأرنب؛ أنا ذاهب إلى ذاك الوادي البعيد محافظاً على موعد لي مع كيانغ سمين، دبرت أمر قتله وأكله هذا اليوم بعينه، وأخي الثعلب آتٍ معي ليشترك في الغنيمة».

قالت الأرنب: «أوه! حقاً، يا أخي الذئب، إنني أحب أن تسمح لي بالمجيء أيضاً. إن الكيانغ حيوان ضخم جداً بحيث إنكما لن تكادا تأكلانه كله بنفسيكما، وإنني على يقين من أنك سوف تسمح لمخلوق صغير مثلي أن ينال شيئاً يسيراً من الغنيمة».

أجاب الذئب: «بالتأكيد، يا أختي الأرنب. سوف نسرّ بصحبتك لنا».

وهكذا سارت الحيوانات الثلاثة جميعاً قدماً نحو البقعة الموعودة. لما اقتربوا من المكان رأوا الكيانغ الفتي ينتظرهم. لقد أكل أثناء شهور الصيف كمية من العشب وأصبح الآن سميناً وأملس جداً، وصار بضعف حجمه الذي كان عليه في الربيع. لما أبصره الذئب سرَّ سروراً عظيماً وأخذ يلعق فمه مرتقباً.

قال: «حسناً، يا أخي الكيانغ، ها أنذا بحسب الاتفاق، مستعد لأن أقتلك وآكلك، وإنه ليسرني أن أراك تبدو تاماً وبخير على هذا النحو. وها هما أخي الثعلب وأختي الأرنب اللذان جاءا معي لينالا أيضاً شيئاً يسيراً».

وإذ قال الذئب هذا فقد ربض متأهباً ليثب على الكيانغ ويقتله.

في هذه اللحظة صاحت الأرنب: «أوه، يا أخي الذئب، انتظر لحظة واحدة، فعندي شيء أقترحه عليك. ألا ترى أنه من المؤسف قتل هذا الكيانغ الرائع بالطريقة المعتادة بالقبض على حلقه، لأنك إن فعلت ذلك فإن مقداراً عظيماً من الدم سوف يضيع سدى؟ بدلاً من ذلك أقترح عليك وكخطة أفضل بكثير لو أنك تخنقه، لأنه في تلك الحالة لن يضيع شيء من الدم، ولسوف نستمد من جثته المنفعة التامة».

قال الذئب في نفسه إن هذه فكرة حسنة فقال للأرنب:

«حسناً جداً، يا أختي الأرنب، أرى أن تلك فكرة ممتازة من أفكارك، لكن كيف تُعمل؟».

أجابت الأرنب: «أوه! إنها سهلة جداً. هناك في الأعلى مخيم للرعيان ومنه يمكننا أن نستعير حبلاً، وحينئذٍ كل ما علينا فعله هو أن نضع عقدة منزلقة في الحبل، وأن نضعها على عنق الكيانغ، وأن نسحب بأشد ما نستطيع».

وهكذا اتفقوا على أن هذا هو ما ينبغي فعله، فذهب الثعلب إلى المخيم القريب واستعار حبلاً من الراعي، وحمله وعاد به إلى حيث كانت الحيوانات الثلاثة الأخرى تقف.

قالت الأرنب: «الآن، دعوا كل شيء لي؛ سوف أريكم بالضبط كيف ينبغي العمل».

وهكذا أخذت الحبل وصنعت عقدة منزلقة كبيرة في أحد الطرفين وعقدتين منزلقتين أصغر منها في الطرف الآخر.

قالت: «الآن، على هذا النحو يجب علينا أن نشرع في العمل: سوف نضع هذه العقدة المنزلقة الكبيرة على عنق الكيانغ، ولما كان حيواناً ثقيلاً ضخماً جداً فإن الطريقة الوحيدة لخنقه هي أن نسحب نحن ثلاثتنا معاً من الطرف الآخر من الحبل. فلتضعا، يا أخي الذئب، وأنت، يا أخي الثعلب،

رأسيكما في الأنشوطتين الصُغريين، وأنا سوف أمسك بالطرف الحر من الحبل بأسناني ومتى أعطيت الإشارة نسحب جميعاً».

اعتقد الآخران أن هذه خطة حسنة جداً، وهكذا طرحوا العقدة المنزلقة على عنق الكيانغ، ووضع الذئب والثعلب رأسيهما في الأنشوطتين الصُغريين. ولما أصبحوا جميعاً مستعدين اتخذت الأرنب مكانها عند الطرف الآخر من الحبل وشدت عليه بأسنانها.

قالت: «الآن، هل أنتما مستعدان؟».

أجاب الذئب والثعلب: «نعم، مستعدان تماماً».

قالت الأرنب: «حسناً، إذاً، اسحبا».

وهكذا شرعا في السحب بأشد ما استطاعا.

لما أحس الكيانغ بسحب الحبل تقدم إلى الأمام بضع خطوات، فكان ذلك مفاجئاً جداً للذئب والثعلب، اللذين وجدا نفسيهما يجران على الأرض.

«اسحب، ألا تستطيع!» صرخ الذئب، وقد أخذ الحبل يشتد حول عنقه.

«اسحب بنفسك!» صرخ الثعلب، الذي أخذ الآن يحس جداً بعدم الارتياح.

«اسحبوا أنتم جميعاً»، نادت الأرنب، وتركت طرف الحبل، وهي تقول ذلك، فانطلق الكيانغ يعدو بسرعة وهو يجر الذئب والثعلب وراءه. خلال دقائق قليلة كانا قد خُنقا معاً، ومضى الكيانغ، وقد نفض الحبل من عنقه، يرعى بهدوء في مراعيه المعتادة، وانصرفت الأرنب تعدو إلى مسكنها، وهي تشعر بأنها قد أدت عمل يوم طيباً.

الضفدع والغراب

أمسك الغراب ذات مرة بضفدعة سمينة رائعة، وإذ أمسك بها بمنقاره فقد طار بها إلى سطح منزل مجاور لكي يلتهمها في وقت فراغه. ولما حط على سطح المنزل ضحكت الضفدعة ضحكة خافتة مسموعة.

قال الغراب: «ممَّ تضحكين، يا أختي الضفدعة؟».

قالت الضفدعة: «أوه، لا شيء، يا أخي الغراب؛ لا تكترث لي. كنت أقول في نفسي إن أبي يسكن، لحسن المصادفة، بالقرب من هنا، على نفس هذا السطح، وإنه لما كان رجلاً قوياً ضارياً جداً فمن المؤكد أنه سينتقم لموتي لو أن أحداً تعرض لي بالأذى».

لم يعجب هذا الأمر الغراب البتة، وإذ اعتقد أنه من الخير له أن يكون على الجانب الآمن، فقد انصرف يحجل إلى ركن آخر من السطح بالقرب من الموضع حيث يصرف المزراب ماء المطر بوساطة ثقبٍ صغير في الحاجز ومصبٍّ خشبي. توقف هناك لحظة وأوشك أن يشرع في ابتلاع الضفدعة لما ضحكت الضفدعة ضحكة خافتة أخرى.

سأل الغراب: «ممَّ تضحكين هذه المرة، يا أختي الضفدعة؟».

أجابت الضفدعة: «أوه، إنه أمر صغير فقط، يا أخي الغراب، لا يكاد يستحق الذكر، لكن خطر ببالي للتو أن عمي، وهو رجل أقوى من أبي وأشد ضراوة، يسكن في نفس هذا المزراب، وأنه لو همَّ أحد بأذيتي هنا فلن تكون له إلا فرصة صغيرة جداً للنجاة من مخالبه».

ارتاع الغراب قليلاً لسماع هذا، فقال في نفسه إنه، على وجه الإجمال، سوف يكون من السلامة بمكان لو ترك السطح كلياً؛ وهكذا التقط الضفدعة بمنقاره من جديد وانصرف طائراً نحو الأرض في الأسفل، وحط بالقرب من حافة بئر. هنا وضع الضفدعة على الأرض ولما همَّ بأكلها قالت الضفدعة:

«أوه، يا أخي الغراب، إنني ألحظ أن منقارك يبدو غير حاد. قبل أن تأخذ في أكلي ألا ترى أنه من الجيد أن تشحذه قليلاً. يمكنك أن تشحذه شحذاً رائعاً على ذلك الحجر المسطح هناك».

اعتقد الغراب أن هذه فكرة حسنة، فحجل نحو الحجر مرتين أو ثلاث، وأخذ يشحذ منقاره. ما إن تولى بظهره حتى وثبت الضفدعة وثبة واحدة مستميتة، وغاصت في البئر.

ما إن جعل الغراب منقاره حسناً وحاداً حتى رجع من عند الحجر، وأخذ يبحث عن الضفدعة. وإذ لم يعثر عليها حيث تركها فقد حجل إلى حافة البئر ونظر فيها، لافتاً برأسه من جانب إلى جانب. لمح من فوره الضفدعة في الماء فناداها:

«أوه، يا أختي الضفدعة، لقد خشيت أنك قد فُقدت. إن منقاري الآن رائع وحاد تماماً، فاصعدي لتؤكلي».

أجابت الضفدعة: «إنني آسفة جداً، يا أخي الغراب، لكن حقيقة الأمر هي أنني لا أستطيع أن أتسلق جوانب هذه البئر. إن خير ما تفعله هو النزول إلى هنا لتأكلني».

وإذ قالت هذا فقد غاصت في قعر البئر.

الأرنب والأسدان

يحكى أنّ أسداً ولبوة كانا يعيشان في عرين وسط بعض الصخور على منحدرات أحد الجبال. كانا معاً حيوانين جميلين جداً وبالغين، وقد اعتادا افتراس الدواب الأصغر حجماً في ذلك الجزء من البلاد؛ إلى أن صارا في آخر الأمر من القوة بحيث إنه لم يسلم من مخالبهما حيوان آخر، فعاشت دواب الجوار في حالة فزع مستمرة.

صادف ذات يوم أنه لما كان الأسد يطلب صيد شيء ليأكله، لقي أرنباً نائماً خلف جلمود؛ وإذ أمسك بالأرنب بمخالبه العظيمة وهمَّ بالتهامه فقد كلمه الأرنب كما يلي:

«أوه يا عمي الأسد، قبل أن تأكلني أحب أن أنبئك عن حيوان آخر يسكن في ذلك الحوض هناك في الأسفل في الوادي. إنه كبير وضار جداً، وأعتقد أنه أقوى منك قطعاً. لكن إن سمحت لي فإنني سوف أعرّفك أين يسكن، فإذا أفلحت في قتله كان وجبة لك أحسن بكثير مني أنا الدابة الصغيرة المسكينة».

أحس الأسد بالسخط الشديد لسماع هذا.

قال: «ماذا! هل قصدك هو أن تخبرني بوجود حيوان في هذه البلاد أشد مني قوة وجبروتاً؟ ألا تعلم أنني سيد هذه الناحية، وأنه لا ينبغي لي البتة أن أترك أحداً ينازعني السيادة. أرني من فورك أين يسكن هذا المخلوق، ولسوف أريك كيف أعالج أمره».

الأرنب: «أوه! يا عمي الأسد، دعني أتوسل إليك أن تكون حذراً. ليس لديك فكرة كم هو كبير وقوي هذا المخلوق؛ لا يجوز لك بأية حال أن تعرض نفسك للإصابة في مصارعته. فكّر في الحزن الذي سوف ينزل بنا جميعاً لو أصابك أذى».

زادت ملاحظة الأرنب هذه من غضب الأسد أكثر من قبل، فألح على الأرنب أن يقوده من فوره في الطريق نزولاً وأن يريه أين يسكن الحيوان الآخر. وهكذا سار الأرنب أمامه ينزل التل، بعد أن توسل إليه من جديد أن يأخذ حذره لنفسه، وسارا حتى وصلا إلى حافة صهريج حجري مربع، مليء بالماء بقدر يقرب من التمام.

الأرنب: «الآن، يا عمي الأسد، إذا ذهبت إلى حافة ذلك الصهريج ونظرت في الماء رأيت الحيوان الذي أتكلم عنه».

وإذ ذلك فقد تنحَّى جانباً، فنظر الأسد، وقد مشى متشامخاً إلى الحافة، نظر في الصهريج. كان الماء ساكناً تماماً، فرأى على السطح الصافي رأسه منعكساً.

نادى الأرنب من الخلف: «هو هناك؛ هو هناك، يا عمي الأسد، يمكنني رؤيته في الماء بوضوح تام. إنك ترى كم منظره ضارٍ؛ من فضلك احذر ألا تُنشب معه قتالاً».

جعلت هذه الملاحظات الأسد أكثر غضباً من قبل، فأخذ يتحرك جيئة وذهاباً عند شفا الصهريج، محدقاً بضراوة في انعكاس صورته في الماء، وهو يهرُّ ويكشر عن أنيابه نحوها.

نادى الأرنب: «هذا حسن؛ إنني مبتهج جداً من حذرك لنفسك. إياك بأي حال من الأحوال أن تشتبك مع ذلك الوحش في الماء لئلا يُلحق بك إصابة. من المؤكد أنك على الجانب أكثر سلامة، ولا ريب في أنك سوف تخيفه إذا ظللت تهرُّ وتكشر عن أنيابك».

وخزت هذه الملاحظات الأخيرة التي قالها الأرنبُ الأسدَ إلى حد الاستماتة، فوثب وقد زأر زئيراً ضارياً على الصورة في الماء مباشرة. ما إن صار في الصهريج حتى أصبح غير قادر على الخروج، لأن جوانبه مشيدة بالحجارة، فكان من المستحيل عليه تسلقها. وهكذا سبح في أرجاء الصهريج بعض الوقت، أما الأرنب فجلس جانباً وراح يقذف الحجارة باتجاهه وأبدى ملاحظات بذيئة؛ وأخيراً، لما أنهكَ تماماً، رسب في القعر وغرق.

سُرَّ الأرنب سروراً شديداً لإنجازه هلاك الأسد، فانصرف الآن باهتمامه إلى اللبوة. صادف أنه كان بالقرب من هناك سور ثخين قائم، كان جزءاً من أطلال قلعة مهدمة؛ وفي جزء من السور ثمة ثقبٌ، كبير جداً من طرف، ضيقٌ من الطرف الآخر حتى يصير مجرد فتحة صغيرة. درس الأرنب الأرض التي عمل عليها، فقد انصرف في الصباح التالي باحثاً عن اللبوة. سرعان ما صادفها تذرع المكان أمام عرينها متشامخة جيئة وذهاباً، وقد أقلقها جداً اختفاء سيدها ومولاها.

قال الأرنب وهو يدنو منها بحذر: «صباح الخير، يا خالتي اللبوة؛ ما بالك هذا الصباح؟ مالي أراك تذرعين هذا المكان أمام عرينك جيئة وذهاباً بدلاً من صيد فرائسك على جانب التل كالمعتاد؟».

لم تلقِ اللبوة للأرنب بالاً، غير أنها هرّت عليها بصورة غاضبة، وضربت جانبيها بذيلها.

استمر الأرنب في الكلام: «أظنك قلقة على السيد الأسد، لكن يؤسفني أن أخبرك أنه من المحتمل أنك لن تريه مرة أخرى لبعض الوقت. حقيقة الأمر هي أننا، هو وأنا، تجادلنا بالأمس قليلاً، ولقد فقدنا كلانا أعصابنا. لقد انتهى الأمر بنا إلى قتال حر، وإنه ليؤسفني القول إنني اضطررت أن أُلحق بالسيد الأسد إصابة بالغة قبل أن أتمكن من أن أجعله يدرك حُكْم العقل، وهو الآن ملقى في حالة احتضار أسفلَ الوادي».

أثارت هذه الصفاقة حنق اللبوة حتى إنها وثبت نحو الأرنب وحاولت أن تمسكه؛ بيد أنه راوغها وجرى مسرعاً ينزل التل واللبوة الغاضبة تلاحقه. اتجه الأرنب مباشرة إلى السور المهدم، ودخل الخرق الذي في السور من الطرف الكبير وبرز سالماً على الجانب الآخر من الفجوة الصغرى، وكان من الصغر بما يكفي له أن يعتبرها. كان الغضب قد تملك اللبوة وهي تتعقبه، فأعماها، حتى إنها لم تر أنها كانت تقاد إلى فخ؛ وهكذا اندفعت ورأسها في المقدمة فدخلت الفتحة في السور وقبل أن تجد وقتاً لتوقف نفسها كانت قد حُشرت بإحكام في الثقب الضيق. وكافحت بعنف، محاولة أن تخرج نفسها، لكن كل ذلك ذهب سدى.

في غضون ذلك جرى الأرنب خبباً نحو الجانب الآخر، واتخذ موضعاً له خلف اللبوة، وأخذ يرشقها بالحجارة ويدعوها بكل ما ورد في فكره من الأسماء القبيحة. ولما ملَّ ذلك انصرف إلى منزله مسروراً جداً من نفسه، أما اللبوة وقد عجزت عن إطلاق نفسها من الفخ الذي كانت فيه، فقد ماتت جوعاً بعد ذلك بوقت قصير.

النعجة والحمل والذئب والأرنب

يحكى أن نعجة مسنة كانت تعيش في وادٍ منخفض من أودية التبت، وكان من عادتها في كل عام أن تغادر، مع حملها[١]، الوادي في أوائل شهور الصيف، وأن تصعد إلى النجد الشمالي الكبير، حيث العشب وافر، وحيث يرعى الكثير من الغنم والماعز أثناء الصيف.

ذات ربيع، خرجت النعجة، وفقاً لعادتها السنوية، نحو الشمال، وفي يوم من الأيام، لما كانت تتمشى برصانة على الطريق، وحملها الصغير يطفر بجانبها، قابلت فجأة وجهاً لوجه ذئباً كبيراً ذا منظر ضارٍ.

قال الذئب: «صباح الخير، يا خالتي النعجة؛ إلى أين تذهبان؟».

أجابت النعجة المرتعشة: «أوه! يا عمي الذئب، إننا لا نرتكب أي ضرر؛ فقط أنا أصحب حملي لنرعى العشب الغني في النجد الشمالي الكبير».

قال الذئب: «حسناً، إنني آسف حقاً لكما؛ لكن حقيقة الأمر هي أنني جائع، ومن الضروري أن آكلكما معاً في مكانكما».

أجابت النعجة: «من فضلك، من فضلك، يا عمي الذئب، لا تفعل ذلك. من فضلك لا تأكلنا الآن؛ فلو انتظرت إلى الخريف، عندما نكون قد سمنّا أكثر مما نحن عليه الآن بكثير، لأمكنك أن تأكلنا بما فيه منفعة أكبر قدراً لك عند رحلة عودتنا».

(١) تروى هذه القصة أيضاً عن نعجة وماعزة، بدلاً من نعجة وحمل.

قال الذئب في نفسه: هذه فكرة حسنة.

قال: «حسنٌ جداً، يا خالتي النعجة، هذه صفقة. سوف أُبقي على حياتكما الآن، لكن فقط شريطة أن تلقياني في هذه البقعة بعد رحلة عودتكما من الشمال في الخريف».

وإذ قال هذا، فقد انصرف يعدو مسرعاً، واستأنفت النعجة والحمل مسيرهما نحو الشمال، وسرعان ما نسيا تماماً أمر مقابلتهما للذئب.

طوال الصيف رعت النعجة وحملها الأعشاب الريانة على النجد الكبير، ولما دنا الخريف كانا كلاهما أسمن ما يمكن لهما، كبر الحمل الصغير حتى صار خروفاً فتياً رائعاً.

لما جاء موعد رجوعهما إلى الجنوب، تذكرت النعجة صفقتها مع الذئب، فكانت كل يوم كلما ازداد قربهما من الجنوب ازدادت كآبة على كآبة.

وذات يوم، لما كانا يقتربان من المكان حيث لقيا الذئب، صادف أن أرنباً جاءت تحجل قُدُماً على الطريق نحوهما. وقفت الأرنب لتلقي على النعجة تحية الصباح، فلاحظت أنها تبدو حزينة جداً، فقالت:

«صباح الخير، يا أختي النعجة، ما لي أراك، وأنت سمينة جداً والحمل رائع جداً، تبدين حزينة جداً هذا الصباح؟».

أجابت النعجة: «أوه! يا أختي الأرنب، إن قصتي حزينة جداً. حقيقة الأمر هي أنه في الربيع الماضي، لما كنت أسير مع حملي على هذا الطريق نفسه، لقينا ذئباً قبيح الطلعة قال إنه سوف يأكلنا؛ لكنني توسلت إليه أن يُبقي على حياتنا، وعلّلت له ذلك بأننا كلينا سوف نكون في الخريف أكبر وأسمن بكثير، وأنه سوف يستمد منا أعظم نفع لو انتظر إلى ذلك الحين. وافق الذئب على هذا، وقال أنه يجب علينا أن نلقاه في البقعة نفسها في الخريف. نحن الآن قريبان جداً من المكان الموعود، وأنا خائفة جداً أننا خلال يوم أو يومين سوف نُقتل كلانا على يد الذئب».

تحدَّثت النعجة المسكينة ثم ذهب صوتها كلياً وانفجرت بالبكاء.

أجابت الأرنب: «ويلي! ويلي! هذه قصة حزينة حقاً؛ لكن أبشري، يا أختي النعجة، فلتدعي هذا الأمر لي، فأنا أعتقد أنني قادرة على الإتيان بجواب لأنني أعلم كيف أدبر أمر الذئب».

وإذ قالت الأرنب ذلك، فقد اتخذت الإجراءات التالية. لبست أفخر لباسها، رداء جديداً من القماش الصوفي، وجعلت في أذنها اليسرى قرطاً طويلاً، ووضعت على رأسها قبعة أنيقة، ووضعت على ظهر النعجة سرجاً صغيراً. ثم إنها أعدت رزمتين صغيرتين وجعلتهما تتدليان على جانبي الحمل وربطتهما بحبل. عند اكتمال هذه التحضيرات أخذت صحيفة كبيرة من الورق بيدها، وصعدت على ظهر النعجة وقد دست قلماً وراء أذنها، وانطلق الموكب في طريقه نزولاً.

بعد ذلك بقليل وصلوا المكان المعين للقائهم بالذئب، وكما هو متوقع فقد كان الذئب بانتظارهم في البقعة الموعودة.

ما إن بلغا مدى السمع حيث يقف الذئب حتى نادت الأرنب بنبرة حادة تنم عن صاحب سلطة:

من أنت، «وماذا تفعل هناك؟».

كان الجواب: «أنا الذئب؛ ولقد جئت إلى هنا لأكل هذه النعجة وحملها، بحسب اتفاق قانوني. رجاء، من أنت؟».

أجاب ذلك الحيوان: «أنا لو مدين، الأرنب، ولقد انتُدِبتُ إلى الهند في بعثة خاصة من قبل إمبراطور الصين. وبالمناسبة، لقد كلفت بجلب عشرة من جلود الذئاب هدية لملك الهند. ويا للأمر السعيد أنني لقيتك هنا! فجلدك، على كل حال، سوف يكون واحداً منها».

وإذ قالت الأرنب هذا فقد مدت صحيفة الورق، وكتبت، وقد أخذت القلم من خلف أذنها، الرقم «١» كبير جداً.

خاف الذئب عند سماع هذا خوفاً شديداً حتى إنه طوى ذيله وفرَّ ذليلاً؛ أما النعجة والحمل، وبعد أن شكرا الأرنب على مساعدتها الكريمة شكراً قلبياً، فقد استأنفا سيرهما بسلام إلى بلادهما.

[هذه القصة هجاءٌ لادعاء الموظفين التبتيين والصينيين وعجرفتهم ولجبن الفلاحين التبتيين وخضوعهم. إنها تضرب مثالاً كيف يمكن لأصغر كاتب حكومي، ولاسيما إذا تسلّح بقلم وورقة، أن يبث الفزع في قلب أشجع أهل الريف وأقواهم].

كيف احتالت الأرنب على الذئب

[هذه القصة في الحقيقة هي استئناف (الرقم٩)، التي تروى أحياناً عن «النعجة والعنزة»، بدلاً من «النعجة والحمل». أول جزء من القصة هو بالضبط نفس (الرقم٩). تمر الاثنتان بالمغامرات نفسها مع الذئب وتخلّصان بالضبط بنفس الطريقة بمساعدة الأرنب. أما خاتمة القصة فمختلفة].

لما هرب الذئب تاهت «دا-غيه» النعجة و«بين-دزونغ» العنزة إعجاباً حتى إنهما لم تستطيعا أن تمسكا نفسيهما من الجري وراءه بسرعة بغرور حتى نظرتاه يغوص بسرعة في جحره على بُعدٍ؛ جلستا عند فم الجحر وبقيتا هناك حيناً تمازحان الذئب وتأمرانه بالتعجّل والخروج لكي يُسلخ، بينما أقام الذئب الأحمق في الداخل ينكمش مرتعشاً ويرتجف.

لم يطل الأمر بالنعجة أن أحست بشيء من الجوع والعطش، فانصرفت لتأكل وتشرب، تاركة العنزة لتراقب الجحر. بعد أن جلست العنزة وقتاً قصيراً أخذت تحك قرنيها بحجر، ولما سمع الذئب صوت الاحتكاك صرَّ بذلٍّ شديد:

«أوه! ماذا تفعلين الآن، يا أختي العنزة؟».

أجابت العنزة: «أشحذ سكيناً لأقتلك بها».

وانكمش الذئب مرتعشاً نحو أقصى تجويف في وجاره مرتجفاً من الخوف.

بعد دقائق قليلة أخذ المطر يسقط، ولما سمع الذئب صوت ضَرْب المطر نادى:

«رجاءً، يا أختي العنزة، ما الذي يحدث الآن؟».

أجابت العنزة بفظاظة: «إنني أجمع الماء لأطبخك به».

أخذت العنزة الآن تحك الأرض بأحد حوافرها فسأل الذئب:

«ما جلبة الحك هذه، يا أختي العنزة؟».

أجابت العنزة: «إنني أعدّ موقداً لأغلي الماء عليه. سرعان ما يحين الوقت للفراغ منك».

حينئذ تماماً رجعت النعجة من الرعي وقالت للعنزة:

«الآن، يا أختي العنزة، الوقت هو وقتك لتذهبي وتنتعشي. سوف أقيم هنا وأعتني بأمر الذئب في غيبتك».

شكرت العنزة النعجة على عرضها وأخبرتها كيف كانت تفعل أثناء غيابها، وبعد أن نصحتها بأن تتصرف بنفس الطريقة وبألا تُظهر البتة أية علامة من علامات الخوف، انصرفت لتحصل على شيء لأكلها وشربها.

لما وجدت النعجة نفسها وقد تُركت وحدها عند فم وجار الذئب، فرَضَ جُبْنها الطبيعي نفسه، فأخذت تحس بالقلق الشديد، لكن من أجل أن تحافظ على المظاهر فقد أخذت تمس قرنيها بحجر، تماماً كما نصحتها العنزة بأن تفعل. ما إن سمع الذئب هذه الجلبة حتى نادى كما قبل، متسائلاً عما يحدث.

«إنني أشحذ سكيناً لأقتلك بها»، أجابت النعجة، لكنها كانت قلقة جداً بحيث إن الذئب لحظ من فوره صوتها الفزع وأخذ يرتاب في أنه قد خُدع.

قال الذئب: «هل هذه أنت، يا أختي النعجة؟ ظننتك أختي العنزة».

أجابت النعجة: «كلا، يا أخي الذئب، هذه أنا. أختي العنزة قد انصرفت تطلب لنفسها شيئاً لأكلها وشربها».

سأل الذئب: «وهل أنت وحدك، يا أختي النعجة؟».

أجابت النعجة: «نعم، يا أخي الذئب».

عند سماع الذئب هذا اندفع من وجاره، وأمسك بالنعجة المسكينة وقتلها.

أدرك الذئب الآن أنه قد اتُخذ لعبة للنعجة والعنزة فغضب بشدة. وهكذا انطلق يبحث عن العنزة، قاطعاً على نفسه عهداً بالانتقام منها. ما إن وقع بصر العنزة على الذئب قادماً من بعيد حتى حزرت ما حصل، فهربت في التلال بأسرع ما يمكنها والذئب يلاحقها. سرعان ما وصلا أرضاً صخرية وعرة، وهنا زلّت إحدى أقدام العنزة فوقعت في صدع عميق ضيق بين صخرتين، وانكسرت رجلها؛ أما الذئب، الذي لم يرَ ما حصل، فقد قفز فوق الصدع واستمر في طريقه، باقياً على مطاردته للعنزة.

ظلت العنزة المسكينة ملقاة بعض الوقت في قعر الصدع، إلى أن سمع ثعلب، كان قد صادف مروره في تلك الطريق، سمع أنينها فأقبل لينظر ما الأمر.

قال الثعلب، وهو ينظر في الصدع: «صباح الخير، يا أختي العنزة. ما الذي حصل لك، لماذا أنت ملقاة هناك تئنين؟».

أجابت العنزة: «أوه! يا أخي الثعلب، لقد نزل بي سوء حظ مهول. أنا بين – دزونغ العنزة، ولقد طاردت مع صديقتي دا–غيه النعجة ذئباً إلى مخبئه هذا الصباح وحاولنا أن نخوّفه بأن قلنا له إننا سوف نسلخ جلده؛ وبينما كنت غائبة لأجد لنفسي شيئاً للشرب والأكل خرج الذئب من وجاره وقتل صديقتي المسكينة دا–غيه النعجة، ثم مضى قدماً يلاحقني. لكنني، كما ترى، وقعت في هذا الصدع وكسرت رجلي. لست قادرة على الحركة، وقد قفز الذئب فوق الصدع وأنا ملقاة هنا وانصرف كلياً. لكن لي طلب أسألك إياه وأنا أموت. أتوسل إليك إذا أنا متّ أن تسلخ جلدي وتسلمه إلى صغاري ليتخذوه حصيراً يستلقون عليه، ومقابل خدمتك هذه فإن لك أن تأخذ لحمي لنفسك».

تأثر الثعلب عند سماع حكاية العنزة تأثّراً شديداً، وقطع وعداً بأن يفعل ما طُلب منه. وهكذا لما ماتت العنزة بعد ذلك بقليل سلخ الثعلب جلدها، ومضى ليسلمه إلى صغارها. وبينما كان ذاهباً، يحمل الجلد على ظهره، صادف أن التقى بأرنب.

قالت الأرنب: «طاب يومك، يا أخي الثعلب، أين تذهب، وما الذي تحمله على ظهرك؟».

أجاب الثعلب: «طاب يومك، يا أختي الأرنب. هذا جلد «بين–دزونغ» العنزة، التي وجدتها ملقاة في صدع بين صخرتين وقد كسرت رجلها. لقد قُتلت هي وصديقتها دا–غيه النعجة على يد الذئب، ولقد توسلت إليَّ أن أسلخ جلدها بعد موتها وأن أحمله كهدية أخيرة منها لصغارها».

أجابت الأرنب: «ويلي، لا ريب أنهما حتماً العنزة والنعجة اللتان أنقذتهما منذ عهد قريب من ذلك الذئب نفسه. يا لهما من مخلوقتين غبيتين إذ أوقعتا نفسيهما في هذه المشاكل الكثيرة بعد أن حررتهما من كل مصاعبهما. لكن، مع ذلك، لن أترك الذئب يغلبني على هذا النحو فيقتل صديقتيّ دون عقاب. تعال معي لنرى ما عسانا نفعل لنأخذ بثأر دا–غيه وبين – دزونغ».

وافق الثعلب على هذا، وانطلق هو والأرنب معاً بحثاً عن الذئب. سارا مسافة طويلة دون أن يلقياه، لكن أخيراً، لما كانا يجتازان ممراً عالياً وجداه يتغذى على جثة حصان نافق.

نادت الأرنب بلطف: «صباح الخير، يا عمي الذئب. إنه ليسرني أن ألقاك. حقيقة الأمر هي أن وليمة عرس تقام في ذلك المنزل الكبير هناك في البعيد، حيث نتوقع أخي الثعلب وأنا أن نجد مقداراً وافراً مما يؤكل ويشرب. إن أحببت أن تأتي أنت أيضاً معنا فإننا سوف نكون مسرورين جداً، وإنني أعتقد أنه يمكننا أن نعدك بشيء أكثر إنعاشاً لك من ذلك الحصان الهرم الذي تلتهمه هنا. فتعال وانظر ما عسانا نجد».

سرّ الذئب لهذه الدعوة سروراً عظيماً، والتحق بالأرنب والثعلب، وانطلقوا ثلاثتهم جميعاً إلى المنزل الكبير حيث كانت تقام وليمة العرس. تأملوا أجزاء المبنى بعناية قبل الاقتراب كثيراً، وسرعان ما تحققوا أن المحتفلين بالعرس جميعاً كانوا مشغولين بالوليمة في الغرفة المركزية، وأن غرفة المؤن، الملآنة

بأشياء رائعة مما يؤكل ويشرب، كانت بلا حراسة تماماً. وهكذا قفزوا داخلين من نافذة ضيقة وأخذوا يستمتعون بكل معنى الكلمة، فيأكلون ويشربون كل ما أولعوا به. لما امتلؤوا من الطعام بقدر ما أمكنهم، قالت الأرنب:

«ما أنصح به الآن هو هذا: ليأخذ كل واحد منا بعض المؤن، بقدر ما يمكننا حمله، ولنجلبه معنا إلى منازلنا، لكي يكون لنا ما نعيش عليه عندما نجوع مرة أخرى. أنا سوف آخذ بعض الجبن؛ وأخي الثعلب سوف يحب بلا شك بعض الطيور المبردة؛ وأنا أنصحك يا أخي الذئب، أن تحمل معك جرة الخمر تلك».

وافق الثعلب والذئب على اقتراحات الأرنب، فأخذوا بتعبئة المؤن التي اقترحوا أخذها معهم. لم يجد الثعلب والأرنب صعوبة في صرّ الجبن والطيور المبردة، أما الذئب فقد وجد أن من الصعب عليه جداً حمل جرة الخمر. وهكذا شرحت له الأرنب أنّ خير سبيل لفعل ذلك هو أن يدسّ رأسه داخل مقبض الجرة، ففي هذه الحالة سوف يسهل عليه أن يسحب الجرة معه. وهكذا وضع الذئب رأسه داخل مقبض الجرة، وتأهّب الثلاثة جميعاً للانطلاق.

قالت الأرنب بنبرة صوت لطيفة: «حسناً الآن، يا أخي الثعلب ويا أخي الذئب، إنه تقريباً وقت انطلاقنا، كيف تحسّان كلاكما؟ هل تعشّيتما عشاءً جيداً؟ هل بطن كل واحد منكما ملآن؟».

أجاب الذئب وهو يفرك بطنه بظفره: «لا يمكن أن يكون أكثر امتلاءً، لقد نلت قسطي من الطعام على أكمل وجه».

قالت الأرنب: «حسناً، إذاً، كما تناولنا وليمة جيدة وكما نشعر بالسعادة والرضا، فلننشد أغنية قبل الانطلاق».

أجاب الذئب: «بالتأكيد، يا أختي الأرنب. هل تبدئين؟».

أجابت الأرنب: «إنه ليسرّني ذلك، لكن حقيقة الأمر هي أنني لا أذكر أغنية واحدة في هذه اللحظة. ربما أخونا الثعلب يتفضّل علينا».

أجاب الثعلب: «إنني آسف جداً، يا أختي الأرنب، لكنني أخشى أنني لا أعرف أية أغانٍ. إنني على يقين من أن أخانا الذئب يغني غناءً جميلاً».

انضمت الأرنب إليه قائلة: «نعم. أرجوك، يا أخي الذئب، دعنا نسمعك وأنت تغني».

«لا، لا، من فضلكما»، قال الذئب بتواضع، وهو يحك أذنه بمخلب من مخالبه. «أنا مغنٍّ رديء جداً، يجب عليكما حقاً أن تعذراني».

لكن الثعلب والأرنب ألحّا عليه، فأخذ في الغناء. مع أول انطلاق لصوته كفّ الرجال في الغرفة المجاورة عن الطعام، واندفعوا نحو غرفة المؤن، وأحدهم يقول للآخر: «في المنزل ذئب».

ما إن سمع الثعلب والأرنب صوت الاضطراب حتى وثبا من النافذة بهدوء وهما يحملان زادهما وانطلقا مسرعين إلى ديارهما. كذلك وثب الذئب نحو النافذة لكن الجرة العظيمة التي حول عنقه كانت أعرض من أن تمر من الفتحة الصغيرة، فارتدّ ساقطاً في الغرفة. مرة أخرى قفز ومرة أخرى ارتد ساقطاً؛ وبينما كان يقفز ويسقط دخل أهل المنزل مندفعين وسرعان ما قتلوه بالعصي والحجارة.

أولاد الفأرة الثلاثة

منذ سنين طويلة، في مملكة نيبال، كانت فأرة صغيرة تعيش مع زوجها في جحر دافئ غير بعيد عن قصر الملك.

لما وجدت الفأرة نفسها أنها على وشك الولادة، دعت الآلهة أن يكون نسلها قوياً جداً؛ ولما وُلِد الفأر ظهر في صورة نمر صغير. سرعان ما كبر النمر، وذات يوم قال للفأرة:

«أمّاه، يجب عليّ الآن أن أنصرف إلى الأدغال وأعيش هناك مع إخوتي النمور. لكن إن احتجتِ إلى مساعدتي في أي وقت، فما عليكِ إلاّ أن تدخلي تلك الأجمة البعيدة، وترمي في الهواء حفنة من شعري، وتنادي باسمي ثلاث مرات».

قال هذا وقد أعطى الفأرة حفنة من شعره، وانصرف إلى الغابة.

بعد ذلك بوقت قصير حملت الفأرة مرة أخرى، وهذه المرة دعت أن يكون نسلها جميلاً جداً. لما وُلِد الفأر، وجدت أنها قد وضعت طاوساً بدلاً من فأر صغير. سرعان ما كبر الطاوس وصار طائراً كبيراً وجميلاً، لما وصل إلى تمام حجمه قال ذات يوم لأمه:

«أمّاه، لقد آن الأوان لأذهب وأطلب رزقي مع إخوتي في الغابة. لكن إن احتجت إلى مساعدتي في أي وقت فما عليك إلاّ أن تقصدي قمة ذلك التل هناك، وترمي في الهواء حفنة من ريشي وتنادي باسمي ثلاث مرات».

قال هذا وأعطى الفأرة الصغيرة حفنة من ريشه، وانصرف طائراً إلى الأدغال.

عما قريب وجدت الفأرة نفسها حاملاً مرة ثالثة، وهذه المرة دعت الآلهة أن يكون الوليد حكيماً وغنياً وقوياً؛ ولما ظهر الولد رأت أنه طفل إنسانٍ صغير. لما كبر الصبي خشيت الأم أنه، هو أيضاً، مثل أخويه سوف يترك الجحر ويخرج إلى العالم ليعيش مع نظرائه البشر. وهكذا حدثته بقصة أخويه الأكبرين، وشرحت له أنه هو ولد إنسان وأنه لا يستطيع أن يبتعد جوّالاً في الأدغال مثلهما، بل يجب عليه البقاء في الجحر. وعد الصبي بذلك، واعتاد كل يوم أن يجلس ويلعب بالقرب من الجحر.

صادف الآن أنه كان يقيم في ذلك البلد مسلم، يكسب قوته من عمله في الحلاقة وتقليم الأظافر. كان هذا الرجل، وهو ذكي جداً في عمله، كان كثيراً ما يُستخدم في قصر الملك، وذات يوم، لما كان ذاهباً إلى عمله في القصر، مرّ بالقرب من جحر الفأرة. هناك رأى الصبي قد اتخذ مجلسه على الأرض، وإذ تقدم نحوه فقد سأله هل يحب أن يقص شعره أو يقلم أظافره.

قال الصبي: «نعم»، فأقبل الحلاق عليه ليقص له شعره. ولدهشة الحلاق، فإن كل شعرة قد تحولت فوراً، وهي تسقط إلى الأرض، إلى ألماس ولؤلؤ وغير ذلك من الجواهر؛ ولما شرع يقلم أظافر الصبي، أصبحت كل قلامة، وهي تمس الأرض، فيروزية جميلة.

استأنف الحلاقُ سيرَه إلى القصر، وبينما كان يقص للملك شعره، حدثه بخبر الولد العجائبي، الذي يتحول شعره وأظافره إلى جواهر. عزم الملك، وكان جشعاً وعديم الضمير، على امتلاك الصبي الثمين جداً، فأرسل أحد عبيده ليجلب الصبي إلى القصر. لما وصل الصبي، أُحضر قدام الملك، فأخبره الملك أنه مادام قد وُجد منتهكاً حرمة الغابات الملكية، فقد عزم على قتل الأم واستعباد الصبي، ما لم يمدّه الصبي من فوره بأربعة نمور بالغة لتحرس بوابات القصر الأربع، وفي هذه الحالة سوف يزوج الصبي من ابنته ويمنحه نصف مملكته.

ذهب الصبي المسكين حزيناً جداً إلى أمه الفأرة، وقص عليها كامل مقابلته مع الملك. أمرته الفأرة بألا يقلق، وأعطته حفنة من شعر النمر وأرسلته إلى الأدغال وقد أرشدته إلى ما ينبغي عليه القيام به بالتمام.

انصرف الصبي ودخل قلب أجمة كثيفة في الأدغال، ونادى وهو يرمي شعر النمر في الهواء:

«أخي النمر! أخي النمر! أخي النمر!».

لم تكد الكلمات تخرج من فمه حتى سمع هريراً منخفضاً عميقاً بالقرب منه تماماً، وخرج من الأجمة متشامخاً نمر عظيم يلعق فمه.

قال النمر: «ها أنذا، يا أخي. ماذا تريد؟».

قال الصبي: «أوه! يا أخي النمر، لقد قال الملك أنني إذا لم أزوده في الحال بأربعة نمور بالغة لتحرس بوابات قصره الأربع فإنه سوف يقتل أمّنا ويستعبدني».

ضحك النمر لسماع هذا ضحكاً عالياً.

قال: «هذا هو الأمر كله؟ هذا أمر سهل التدبير. يمكنني أن أحصل لك على مئة نمر».

وإذ قال هذا، فقد فتح فمه وزأر زئيراً متسلسلاً مخيفاً؛ وفي دقائق قليلة بدا أن الدغل بكامله قد امتلأ بالنمور، وقد أقبلت مسرعة من كل الجهات. لما صاروا جميعاً متأهبين، أمر النمر الأول أخاه بامتطاء ظهره، وهكذا انطلقوا جميعاً معاً إلى قصر الملك، والصبي يتقدم على الطريق، والنمور الأخرى تتبعه في موكب.

لما دنوا من القصر حدث ذعر عظيم؛ جرى الخدم هنا وهناك، واستدعي الحرس لحمل السلاح. ولما أُخبر الملك بما حصل ذُعر ذعراً عظيماً، لكنه اتخذ مجلسه على عرشه، وأعطى أمراً بإدخال الصبي والنمور.

دخل الصبي راكباً على ظهر النمر إلى الحضرة الملكية، تتبعه النمور الأخرى جميعاً؛ وقال وقد توقف على بُعد خطوات قليلة من العرش:

«ها هو، أيها الملك، عدد من أفضل النمور التي استطعت العثور عليها في الغابة. لك أن تختار الأربعة التي تحب».

دُهش الملك لهذا دهشة عظيمة، وبعد أن اختار أربعة من أجمل النمور، أَذن للآخرين بالانصراف. لكنه ظل على توقه إلى الجواهر، وبعد أيام قليلة استدعى الصبي من جديد للمثول أمامه، وقال له أنه إن لم يمده من فوره بأربعة طواويس يجلس كل واحد منها على واحدة من القبب المسترقة الذهبية الأربع التي على سطح القصر، فإنه سوف يقتل أمه ويُبقي الصبي عبداً له.

اكتأب الصبي المسكين لسماع هذا اكتئاباً شديداً، ورجع بالخبر إلى أمه حزيناً؛ لكن الفأرة الصغيرة أخبرته أنه لا بأس في ذلك، وأرشدته، وهي تعطيه حفنة من ريش الطاوس، كيف يفعل بعدُ. وهكذا خرج الصبي إلى قمة تلٍّ عالٍ، ونادى بأعلى صوته، وهو يرمي الريش في الهواء:

«أخي الطاوس! أخي الطاوس! أخي الطاوس!».

سُمع مباشرةً صوت أجنحة تصفق، وهوى طاوس جميل جداً أمامه على الأرض من غصن شجرة مجاورة.

قال الطاوس: «ها أنذا يا أخي. ماذا تريد مني؟».

قال الصبي: «أوه يا أخي الطاوس، يقول الملك أنني إن لم أستطع من فوري تزويده بأربعة طواويس لتجلس على القبب المسترقة المذهبة الأربع التي على قصره فإنه سوف يقتل أمنا ويستعبدني».

قال الطاوس: «لا تهتم البتة، يمكننا تدبير ذلك بسهولة».

وهكذا صفق بجناحيه وطار عائداً إلى قمة شجرة عالية، وصاح صيحة الطاوس الحادة المدوية.

خلال دقائق ازدهى الهواء بعدد من الطواويس الرائعة وهي تطير آتية من كل الجهات.

قال الطاوس الأول: «الآن، لنَسِرْ قدماً إلى القصر».

وإذ قال هذا، فقد حملت أربعةٌ من أقوى الطواويس الصبيَّ بمخالبها، وطارت معاً فوق قمم الأشجار إلى قصر الملك.

لما رأى رجال الحاشية الطواويس آتية، أسرعوا ليخبروا الملك، فاتخذ الملك مجلسه على عرشه في الفناء على أتم الاستعداد لاستقبالهم.

وضعت الطواويسُ الصبيَّ على الأرض أمام عرش الملك، واصطفت خلفه صفوفاً، وقد نشرت أذيالها.

قال الصبي: «هاهي جميعاً، أيها الملك، أجمل الطواويس التي أمكنني العثور عليها في الغابة. فلتختَرْ منها أية أربعة شئت».

دهش الملك مما حصل دهشة عظيمة، لكنه انتقى أفضل أربعة طواويس، وصرف البقية.

لكن الملك ظل يتوق إلى الجواهر. وهكذا، وبعد أيام قليلة، أرسل وراء الصبي من جديد، وقال له إنْ لم تقاتل أمُّه الفأرةُ فيلَ الملك العالي الرتبة وحدها وتهلكه، فإنه سوف يقتل الأم ويستعبد الصبي.

كُرب الصبي لسماع هذا كرباً عظيماً، لأنه لم يحسب أنه من الممكن للفأرة الصغيرة أن تنازل بنجاح الفيل العظيم للملك؛ وهكذا عاد إلى منزله حزيناً جداً وقصَّ على أمه القصة كاملة. لكن الفأرة قالت أنه لا ينبغي له أن يرتاع، وأمرته بأن يلطخ جسمها كله بالسم، وأن يربط بذيلها خيطاً طويلاً. وما إن أصبحت مستعدة حتى وضعها الصبي في كُمّ معطفه، ومضى قدماً يحملها إلى القصر.

في فناء القصر كان كل شيء قد أُعدّ للنزال. وُضِعت خلف حاجز مقاعدُ للملك وأعوانه، أما الأسطح والنوافذ فقد غصت بمئات الناس الذين أتوا لمشاهدة العرض. وقف في طرف من البقعة المسجية فيلُ الملكِ العظيمُ متأهباً، والقيد لا يزال في رجله؛ واتخذ الصبي، والفأرة في كمه، مكانه في الطرف الآخر من الحلبة، وجهاً لوجه مع الفيل الغاضب.

عند إطلاق إشارة محددة حُرر الفيل من قيده، فاندفع يخور غضباً نحو مكان وقوف الصبي. وأثناء تقدمه، رافعاً خرطومه في الهواء، وثبت الفأرة الصغيرة إلى الأرض وجرت لتلاقيه. أبصر الفيل هذا الشيء الصغير، ووقف لحظة ليرى ما هو، فحجلت الفأرة وصارت على قدمه. أدلى الفيل من فوره خرطومه ليتحسس ما هناك، وفي طرفة عين وثبت الفأرة داخل الطرف المفتوح من الخرطوم، وجرت تصعد فيه بأسرع ما يمكنها حتى وصلت إلى الرأس. سرعان ما وجدت نفسها داخل دماغ الفيل، وهناك دارت ودارت، ملطخة بالسم كل دماغ الدابة العظيمة.

اندفع الفيل، وهو لا يدري ما حصل، في أرجاء الحلبة، وهو يخور غضباً وألماً، ويحطم كل ما يطاله بخرطومه. لكن خلال وقت قصير أحدث السم أثره، فهوى أرضاً كحجر ميتاً، أما الصبي فإذ سحب الخيط المربوط بذيل الفأرة فقد أرشدها إلى الخروج من خرطوم الفيل إلى أن وصلت إلى الفضاء المفتوح.

لم يعد ممكناً للملك أن يتردد في تنفيذ وعده للصبي، فقدم له ابنته زوجةً، وأهداه نصف مملكته. وعند موت الملك تولى الصبي حكم المملكة، وعاش وأمه بعد ذلك سعيدين.

بنات آوى والنمر

يحكى أن هناك أسرة من بنات آوى، مؤلفة من أب وأم وخمسة صغار. بعد عيشهم زمناً مطمئنين جداً بالقرب من قرية كبيرة، وجدوا أن كلاب القرية قد ازدادت عدداً وإزعاجاً فرأوا أنه من الضروري تبديل مكان إقامتهم. وهكذا غادروا مساء يوم جميل وساروا خلال البلاد، وقد جعلوا أعينهم الثاقبة تطلب بقعة جاذبة، يُمكنهم الاستقرار فيها.

بعد وقت قصير بلغوا حافة غابة، وبعد أن ساروا قليلاً داخل أكثف أجزائها، وصلوا بغتة إلى عرين نمر. خافت صغار بنات آوى كثيراً من رائحة عرين النمر، لكن ابن آوى الأب طمأنهم، وزعم أنَّه عالم بالنمور علماً تاماً، وأنه يعلم كيف يتعامل معها. وهكذا تقدم وحده، وتطلّع في الداخل فوجد أن النمر ليس في العرين، لكنّه قد خلّف كمية عظيمة من لحم الأيل ملقاة في زاوية، يبدو أنه لم يجد وقتاً لالتهامها. وهكذا نادى السيدة بنت آوى والأولاد، وأمرهم أن يدخلوا ويتغذوا غذاءً جيداً، ويستريحوا أتمّ الراحة . بعد أن أخذ لنفسه وجبة جيدة من لحم الأيل، قال للسيدة بنت آوى:

«يمكنك والأولاد أن تذهبوا الآن للنوم؛ سوف أرتقي سطح العرين وأبقى منتبهاً للنمر. عندما أُشاهده آتياً سوف أدقّ على السطح، ومن فورك يجب عليك أن توقظي الصغار وتجعليهم يأخذون في البكاء، وعندما أسألك ما سبب بكائهم، يجب أن تقولي إنه قد نفد صبرهم طلباً للعشاء».

ووفقاً لذلك صعد السيد ابن آوى إلى السطح، بينما خلدت أسرته للنوم في أدفأ زاوية من عرين النمر. بعد ذلك بقليل سمع ابن آوى الأب طقطقة خفيفة في أوراق الغابة اليابسة؛ وفي ضوء الصباح الضعيف استطاع أن يتبيّن صورة نمر عظيم يدنو من عرينه خلال جذوع الأشجار.

حسب التدبير الذي عمله، دق بحجر على سطح العرين، وفي الحال أيقظت السيدة بنتُ آوى الصغارَ وجعلتهم يبكون.

نادى ابن آوى الأب: «علامَ يبكي أولئك الصغار؟».

كان الجواب: «إنهم جائعون جداً، ولقد نفد صبرهم طلباً لعشائهم».

قال ابن آوى الأب: «أخبريهم أنّه لن يطول انتظارهم؛ من المرجَّح أن النمر قد أوشك على العودة إلى بيته، وعما قريب سوف نأكل لحم نمر ساخن».

ارتاع النمر جداً عند سماعه هذا، فقال لنفسه:

«أي نوع غريب من الحيوان يمكن أن يكون هذا الذي دخل عريني وهو ينتظر أن يطبخني ويأكلني عند رجوعي؛ إنه قطعاً مخلوق ضارٍ ومفزع جداً».

وهكذا دون أن يتقصى الأمر أكثر من ذلك، لوى ذيله وانصرف يجري بأسرع ما أمكنه داخل الغابة. وبعد أن جرى مسافة صادف سعداناً مسناً، له هدّاب[١] عظيم من الشعر حول وجهه كله.

سأل السعدان: «إلى أين تجري، يا عمي النمر؟».

قال النمر: «حسناً، حقيقة الأمر هي أنّ أسرة حيوان غريب، تدعو نفسها بنات آوى، تحتل في هذه اللحظة عريني. بينما كنت أدنو من عريني، بعد صيد ليلة طويلة، وإذ بأحد هذه المخلوقات يجلس بالفعل فوق السطح، يبحث عني،

---

(١) اسمٌ يجمع هُدْب (مفردها هدابة) الثوب – المترجم.

ولما اقتربت سمعته يقول لصغاره أنهم سوف يتناولون في عشائهم لحم نمر ساخن. لحسن حظي لم يرني، وهكذا قلت لنفسي إن خير ما أفعله هو أن أنصرف بأسرع ما يمكنني، كي أتجنب أن أؤكل».

عندما سمع السعدان هذا أحس بالظُّرف الشديد، وأخذ يضحك من كل قلبه.

قال: «عجباً، يا لك من نمر أحمق! ألم تسمع قط بابن آوى من قبل؟ ألا تدري أنه أنت الذي يجب أن يأكل بنات آوى، لا أن تأكلك بنات آوى؟ تعال معي، وسرعان ما أريك كيف يُعالج أمر قوم كهؤلاء».

اطمأن النمر قليلاً لسماع كلام السعدان، لكنه، مع ذلك، كان متردداً جداً في أن يرجع من جديد وأن يستنزل عليه خطر أن يؤكل؛ لكن القرد شجعه، وفي نهاية الأمر انطلقا معاً، وقد فَتل ذيله حول ذيل النمر، ليعطيه شعوراً بالتأييد والثقة.

مع اقترابهما من العرين ازداد النمر تهيباً بالتدريج، وصار يتقدم ببطء شديد، وقد تأهب للفرار في كل لحظة. لكنهما استمرا في التقدم معاً، ذيل الواحد بذيل الآخر، إلى أن وقع بصر ابن آوى الأب، بعد وقت قصير، على الاثنين من سطح العرين، فصاح:

«لقد أَصَبت يا أخي القرد، هاتِه بسرعة؛ لقد كدنا جميعاً نموت جوعاً. لكن ما مرادك إذ لم تجلب إلا واحداً منهم؟ لقد كنت أتوقع منك أن تجلب لنا ما لا يقل عن اثنين أو ثلاثة».

عند سماع النمر هذا ارتاب من فوره في أن السعدان يعمل في خدمة ابن آوى، وأنه يُقاد إلى فخ. ودون أن يتردد لحظة انعطف وفرَّ مندفعاً إلى أعماق الغابة. لم يستطع السعدان سيّئ الحظ، الذي فُتل ذيله حول ذيل النمر، لم يستطع تحرير نفسه، فصار يجر ويرتطم هنا وهناك أثناء اندفاع النمر داخل

أكثر أجزاء الدغل كثافةً وشوكاً. لما توقف النمر ليلتقط أنفاسه بعد طول مدة، قطع خلالها الكثير من الأميال، نظر إلى الوراء على جانبيه، فكان كل ما رآه من القرد هو قطعة صغيرة من ذيله انقطعت وظلت مفتولة حول ذيله هو.

لم يرجع إلى عرينه مرة أخرى أبداً، فاحتلته منذئذٍ بنات آوى، التي عاشت هناك بسلام وراحة سنين طويلة.

اللصوص الثلاثة

يحكى أن ثلاثة لصوص أذكياء جداً كانوا يقيمون داخل ممتلكات إمبراطور الصين. كان هؤلاء الرجال، بفضل مهارتهم ودهائهم، في رأس أهل مهنتهم، وكانوا يستطيعون بحيلة اليد والبراعة إنجاز أعمال فذة من المكر لا يمكن للصوص العاديين مضاهاتها. كان الأول من الذكاء بحيث إنه يستطيع أن يستلَّ البيض من تحت الدجاجة الجاثمة عليه دون أن يثيرها بحال من الأحوال، ودون أن تعلم أن السرقة قد حصلت. كان الآخر قادراً على اقتطاع النعلين من جزمة الرجل وهو يمشي قدماً على الطريق دون أن يعلم الرجل الضحية أنه قد سُرق. وكان الثالث قادراً على أن يأكل فيشبع من طبق رجل جالس على العشاء دون أن يقدر الرجل الذي سُرق، أو صديقه قبالته، على اكتشاف أين ذهب الطعام.

صادف أن التقى هؤلاء اللصوص الثلاثة جميعاً ذات يوم في خانٍ ريفي، فأخذوا، وقد دخلوا في حديثٍ بعضهم مع بعض، يتبادلون أسرارهم.

سأل اللص الأول الثاني: «هل لي أن أسألك ماذا تفعل لتدبر معيشتك؟»

أجاب الرجل الذي وُجِّه إليه الخطاب: «أوه، أنا لص».

أجاب الرجل الآخر: «حسناً جداً، نحن أيضاً لصان. هلاّ أخبرتنا، من فضلك، هل من مجال نشاط تبرع فيه؟».

قال اللص الثاني: «نعم؛ يمكنني اقتطاع النعلين من جزمة الرجل وهو يجتاز الطريق دون أن يعلم بما حصل. ما الذي يمكنكما أنتما فعله، رجاءً؟».

أجاب اللص الأول: «أستطيع أن أستلّ البيض من تحت الدجاجة الجاثمة دون أن أثيرها».

قال الثالث: «وأنا أستطيع أن أسرق عشاء رجل آخر من طبقه، فآكل ما يشبعني وهو جالس إلى الطاولة، دون أن يتمكن الرجل الضحية، أو الرجل قبالته، من أن يكتشفا أمري».

وهكذا انطلق اللصوص الثلاثة، وقد عقدوا صداقة بينهم على أساس مهاراتهم غير المعتادة، انطلقوا جميعاً إلى بلاط إمبراطور الصين، من أجل أن يروا إن كان بوسعهم النجاح في كسب الثروة هناك.

عند الوصول إلى البلاط تشاوروا جميعاً وخلصوا إلى أنه من الضروري، لتحقيق تقدم في الصين، جذب انتباه الإمبراطور. وهكذا اتفقوا على الافتراق أربعاً وعشرين ساعة، والالتقاء في اليوم التالي في فناء القصر، وقد جلب كلّ واحد منهم هدية للإمبراطور تسرّه، وتبرهن له أنّهم رجال من عيار غير معتاد. وبحسب الاتفاق، تفرقوا في جهات مختلفة، وفي اليوم التالي ظهراً، التقوا جميعاً في فناء القصر، ومضى كل واحد منهم يقصّ مغامراته خلال الساعات الأربع والعشرين المنصرمة.

ابتدأ اللص الأول: «ما إن فارقتكم أمس حتى دخلت المزرعة الملكية الملاصقة للقصر، وهناك وجدت أنثى طاوُس الإمبراطور جالسة على عشّها، وتحضن قرصاً من البيض، يُظنّ منها أنها تنتج نسلاً من أجمل الطواويس. تنفيذاً لأوامر الإمبراطور جُعل لمراقبة هذا العش شخص يلازمه ليلاً ونهاراً، لئلاّ يتدخل أحد في أمر البيض، والطاووسة نفسها نزقة جداً بحيث إنها لا تدع أحداً

يدنو منها ما عدا الرجل الذي يطعمها. لكن عوائق كهذه لم تكن شيئاً بالنسبة لي، ولم أجد صعوبة في تفادي المراقبين وتجريد البيض من تحت الطاووسة، دون إثارتها، أو علمها بفقدان البيض. البيض هنا الآن في حقيبة سفري، وعند انكشاف أمر فقدانه بعد وقت قصير، كما هو مؤكد، وعند عرض مكافأة لأجل كشف أمره، فإنني أنوي تقديمه هدية للإمبراطور.

أطرى اللصان الآخران رفيقهما على مهارته وعبقريته، ثم إن اللص الثاني مضى يروي قصته كما يلي:

«لما انفصلنا بالأمس، دخلت من فوري غرفة الانتظار الإمبراطورية، واختلطت بالأعيان والموظفين الذين كانوا ينتظرون مقابلة رسمية مع جلالته، وسرعان ما لاحظت بين الآخرين الوزير الأكبر. كان رجلاً سميناً جداً، ويلبس أجمل ثيابه، وفي قدميه جزمة جديدة. وبينما هو يتحرك جيئةً وذهاباً في الحشد، أفلحت في اقتطاع النعلين من جزمته الجديدة دون أن تكون له أدنى فكرة عما حدث. بعد ذلك بقليل استدعي للمثول أمام الإمبراطور، ولما جثا ليسجد أمام جلالته، لوحظ أنه ليس لجزمته نعلان. غضب الملك، الذي ظن أن الوزير قد ارتكب هذا الانتهاك الخطير لآداب السلوك عمداً، غضباً شديداً، فأمر بحبسه فوراً. لم يُجْدِ نفعاً الرجلَ البائسَ تأكيدُه براءته أو التماسُه الرحمة. جاء في أمر الملك أنه ما لم يُعطَ له تفسير شافٍ قبل السادسة من مساء هذا اليوم وما لم يُبرَز النعلان المفقودان، فإن عنق الوزير سوف تُقطع. ها هما نعلا الوزير الأكبر في حقيبة سفري، وإنني أنوي تقديمهما هدية لجلالته عصر هذا اليوم أثناء المقابلة الرسمية العامة. بذلك سوف أكسب عرفان الوزير الأكبر وأُسكّن غضب الإمبراطور.

هنّأ اللصان الآخران، عند سماعهما هذه القصة، رفيقهما على دهائه الناجح، ومضى اللص الثالث يقص مغامراته كما يلي:

قال: «لما افترقنا بالأمس، دخلت القصر، وبعد التجوال لبعض الوقت وجدت نفسي في الغرفة التي يُعدّ فيها عشاء الإمبراطور، وحيث اجتمع كبار الموظفين في القصر للنظر في ترتيبات الوجبة الملكية. كان هناك كبير الحجّاب ومَنْ هم أدنى منه، وكبير المرتّبين ومَنْ هم أدنى منه، وكبير السقاة ومَنْ هم أدنى منه، وموظفون آخرون كثيرون من الدرجة الدنيا. لقد اختلطت بالخدم الواقفين في أرجاء الغرفة، دون جذب أي انتباه، وبقيت في الغرفة حتى دخل الإمبراطور بمراسم عظيمة وجلس ليأخذ نصيبه من وجبة منتصف النهار. جعل كبير الطّباخين وكبير الحجاب نفسيهما أمام الملك، ليعملا على أن يكون تقديم الطعام له بالشكل الصحيح، بينما اتّخذ الموظفون الرفيعون الآخرون أماكنهم على جانبي كرسيّه وقدموا المساعدة في جلب الأطباق. لكن مع كل هذه الاحتياطات، استطعت بمهارتي أن آخذ الطعام من كل طبق وهو يوضع على الطاولة، قبل أن يحظى الإمبراطور بوقت لأخذ نصيبه إلا من لقمات قليلة جداً. ومع استمرار تقديم الوجبة ازداد انزعاج الإمبراطور شيئاً فشيئاً، واشتكى من عدم كفاية الطعام الذي أُعدّ له. لم يقع أمر كهذا قط في القصر قبل ذلك. لقد قُذِف كبير الطباخين وكل الذين أدنى منه وكبير الحجاب وكل الذين أدنى منه وكبير المرتّبين وكل الذين أدنى منه وكل الموظفين الأدنى درجة، قُذفوا إلى حالة كبيرة من الحيرة والارتياع بسبب الواقعة. اندفعوا هنا وهناك بين المطابخ وقاعات العشاء، يوبّخون مساعدي الطباخين والخدم الآخرين على إهمالهم، ويعدّون لمائدة الإمبراطور أكثر الأطباق اتقاناً ووفرة. لكن بعد وقت، أعطى الإمبراطور، وقد أعيته الحيرة، وعجز عن نيل وجبة مرضية رغماً عن كل شيء، أعطى أوامره بأن يسجن جميع الطباخين والناظرين الآخرين المسؤولين عن خدمة مائدته، وأنه ما لم يُقدَّم تفسير شافٍ

لإهمالهم قبل مساء اليوم فإن رقابهم سوف تُقطع. لدي هنا، في حقيبة سفري، جميع الأطعمة التي وضعت بالأمس أمام الإمبراطور لأكله، وأنوي أن أقدمها له هدية في المقابلة الرسمية، وأُعلمه بما حصل حقاً. مما لا ريب فيه أنه سوف يصفح عني عند سماعه القصة، وسوف أظفر من الموظفين الذين نالهم الخزي بعرفان مؤبد لتدبيري إطلاق سراحهم».

هنأ اللصان الآخران، عند سماعهما هذه القصة، رفيقهما بحرارة على جرأته ونجاحه، ودخل الثلاثة غرفة الانتظار الإمبراطورية، وانتظروا أوان المقابلة الرسمية العامة.

بعد ذلك بدقائق قليلة، فُتحت على مصارعها الأبواب العظيمة المفضية إلى غرفة الاستقبال، وأعلن المنادي وقد ظهر على العتبة قائلاً: «صمتاً». ثم إنه أبلغ أن البيض قد سرق كله في اليوم السابق من تحت طاووسة الإمبراطور المفضلة، وأن كل شخص يمكنه العثور على البيض أو إعطاء أية معلومات تتعلق بفقدانه سوف ينال جائزة؛ وأنه، ثانياً، بسبب انتهاك الوزير الأكبر لآداب السلوك فإنه قد حُبس، وأنه ما لم يفسر أمر جُرْمه قبل السادسة مساءً فإن عنقه سوف تقطع، وأن كل شخص يمكنه المساعدة في الأمر سوف يُدفع له مبلغ جزيل ويُكافأ من قبل الإمبراطور بأشياء سوى ذلك؛ وأنه، ثالثاً، بسبب سوء النظارة أثناء تناول الإمبراطور للطعام في اليوم السابق فإن جميع موظفي القصر الداخليين قد حُبسوا، وسوف تُقطع أعناقهم في السادسة مساءً ما لم يتمكنوا من إعطاء تفسير شافٍ؛ وأن كل شخص يمكنه تقديم المساعدة في الأمر سوف يكافأ على جهوده.

قال المنادي هذا وانسحب، وبدأ الاستقبال الرسمي العام. لما أُذن للصوص الثلاثة بالمثول في حضرة الإمبراطور، دخلوا جميعاً وانحنوا في نفس الوقت انحناءة الاحترام أمام عرش الإمبراطور.

سأل الإمبراطور: «من أنتم أيها الرجال الثلاثة؟ وماذا تطلبون مني؟».

أجاب اللص الأول: «لعلي أدخل السرور على جلالتكم، فإنني قد تجاسرت على جلب هدية صغيرة لكم».

وإذ قال هذا فقد أخرج من حقيبة سفره بيض الطاووسة ووضعه على العرش.

لما سمع الإمبراطور بأن هذا البيض هو بيض طاووسته سُرّ سروراً عظيماً، وأعطى أوامره بأن يُردّ من فوره إلى العش، واستمر الحضن؛ وإذ أمر اللص الأول بالتراجع والتنحي، فقد استعلم من الثاني عما يحب قوله.

أجاب اللص الثاني: «لعلي أدخل السرور على جلالتكم، فأنا أيضاً عندي هدية صغيرة أقدمها لكم».

وإذ قال هذا فقد أخرج نعلي الوزير الأكبر من حقيبة سفره ووضعهما على درجات العرش.

لما وجد الإمبراطور أن هذين هما نعلا جزمة وزيره الأكبر، وعَلم كيف استُلاّ، استظرف الأمر جداً، وضحك من قلبه. ومن فوره أصدر أوامره بإطلاق وزيره الأكبر، وسلمه نعلي جزمته، وأمره أن يراقبهما بحذر في المستقبل. ابتهج الوزير الأكبر لنيل الحظوة الملكية من جديد، وعبر عن عرفانه للص لخدماته في الأمر.

لما سئل اللص الثالث عما لديه أجاب:

«أنا أيضاً لدي هدية صغيرة لجلالتكم».

وإذ قال هذا فقد أبرز طبقاً من حقيبة سفره، ووضع عليه شتى الأطعمة التي طبخت لعشاء الإمبراطور في اليوم السابق.

لمّا علم الإمبراطور أن هذا هو العشاء الذي أُعد له، والذي كان يجب أن يأكله، دهش دهشة عظيمة؛ لكنه لما رأى أن الذنب ليس ذنب الطباخ والحجاب والخدم الآخرين، فإنه أمر بإطلاق سراحهم جميعاً، وباستئناف وظائفهم السابقة.

وإذ أصدر الإمبراطور هذه الأوامر المختلفة، فإنه قد استدعى إليه اللصوص الثلاثة من جديد، وخاطبهم كما يلي:

قال: «مع أنني قد سررت جداً إذ وجدت تفسيراً شافياً لاختفاء البيض، ولجنحة وزيري الأكبر، ولعدم كفاية عشائي، فإنه لا يمكنني إغفال حقيقة أنكم ثلاثتكم قد تصرفتم بطريقة غير معتادة. ولذلك فإنني، قبل مكافأتكم وفقاً لوعدي، أرغب أن أضع مهاراتكم موضع اختبار آخر. فإن نجحتم في هذه التجربة نجاحاً يرضيني كوفئتم ثلاثتكم مكافأة حسنة، ونلتم رتبة وأراضي في بلادي؛ لكن إن فشلتم كان عليكم تحمُّل عواقب طيشكم، ودفُعتم ثلاثتكم جميعاً إلى الموت».

لما سمع اللصوص الثلاثة هذه الكلمات خافوا كثيراً، وإذ انحنوا أمام الإمبراطور فقد انتظروا أوامره.

استمر الإمبراطور في الكلام قائلاً: «الاختبار الذي أدخره لكم هو كما يلي: فلتعلموا أن عندي في خزانة أموالي عدداً عظيماً من الجواهر والأشياء النفيسة من كل الأنواع؛ والخزانة مودعة داخل سور ثلاثي علوه عشر قامات، له بوابات من حديد، ويحرسه ليلاً ونهاراً سرايا من أكثر جنودي إخلاصاً. إن أبرزتم، قبل السادسة من مساء الغد، ثلاثاً من اللآلئ من خزانتي فإنه

سيصفح عنكم وتكافؤون؛ أما إن فشلتم في فعل ذلك فإنكم ستدفعون ثلاثتكم جميعاً إلى الموت».

عند سماع اللصوص هذه الكلمات تشاوروا جميعاً لحظات قليلة، ثم أجابوا كما يلي:

«سوف نبذل وسعنا لإنفاذ أوامر جلالتكم وللنجاح في هذا الاختبار الذي أعطيتموه لنا، لكننا نريد أن نلفت عنايتكم الملكيّة إلى أمر؛ وهو: لو فرضنا أننا أبرزنا قبل مساء الغد ثلاث لآلئ كما تأمرون، فكيف يمكننا أن نقنعكم أنها أتت من الخزانة الملكية؟ اللآلئ بأسرها تبدو متشابهة جداً، ومن المستحيل لنا أن نبرهن لكم من أين أتت. لذلك سوف نتجاسر ونقترح أن تعملوا، قبل وضعنا في هذا الاختبار، على إجراء تعداد كامل لكل الجواهر في خزانتكم؛ حينئذ، متى نبرز اللآلئ الثلاثة المقصودة، يكُنْ من السهل التحقق من أن عدد اللآلئ في الخزانة يقلّ بثلاث عما كان لما أجري التعداد».

رأى الإمبراطور أن هذا طلب معقول، فوافق على العمل بحسب ما اقترحه اللصوص. وهكذا استدعى الخازن أمامه، وأعطاه الأوامر بأنه ينبغي عمل تعداد كامل لكل الجواهر والأشياء النفيسة الأخرى في خزانته قبل حلول الليل ذلك المساء؛ وإذ أصدر أوامره فقد أذِن بانصراف الحضور.

قلق كبير الخزنة عند تلقي هذه الأوامر قلقاً شديداً، فقد أدرك أنه بالنظر إلى الكمية الهائلة للجواهر والأشياء الأخرى في الخزانة، أدرك سلفاً أنه سوف يكون أمراً عسيراً إكمال التعداد قبل المساء. كانت الطريقة الوحيدة التي يمكن بها القيام بذلك هو طلبُ المساعدة من موظفي القصر جميعاً، وأمرهم، بعد تخصيص كل واحد منهم بقسم من غرفة الخزانة، أمرهم بإنجاز جرد كامل كلٌّ لجزئه الخاص به. وفقاً لذلك، فقد جمع كل موظفي القصر فبلغوا مئات كثيرة،

وتوجهوا جميعاً إلى الخزانة الملكية. في غضون ذلك، ارتدى اللصوص الثلاثة، الذين توقعوا أن يفعل الخازن هذا الأمر، ارتدوا كامل الثياب الخاصة بموظفي القصر، وإذ اختلطوا بالحشد دون أن يُلحظوا فقد تبعوا الخازن إلى بوابات الخزانة الملكية. عملاً بأوامر الخازن، فُتحت البوابات من فورها على مصراعيها، وأخذ الموظفون، وقد دخلوا الخزانة، في العدّ. خُصص اللصوص الثلاثة، على غرار البقية، كلّ منهم بقسم من غرفة الخزانة، ليعملوا له جرداً كاملاً، وإذ استُخدِموا على هذا النحو فإنهم لم يجدوا مشقة في أن يخفي كل واحد منهم لؤلؤة عظيمة بعد أن يضعها أولاً في قائمته. عند حلول الليل كان التعداد قد اكتمل، وسُلمت القوائم جميعاً إلى كبير الخزنة، وتُركت الخزانة كما قبل مقفلة ومحروسة.

في اليوم التالي، في السادسة مساء، اتخذ الإمبراطور مجلسه في قاعة الاستقبال الرسمي، واستدعى اللصوص الثلاثة للمثول أمامه.

قال: «حسناً، هل استطعتم الوفاء بالشروط التي اشترطتها عليكم؟ إن تمكنتم الآن من إبراز ثلاث لآلئ من خزانتي، فسوف تكافؤون بحسب ما وعدت؛ أما إن عجزتم عن فعل ذلك فسوف تدفعون ثلاثتكم جميعاً إلى الموت».

انحنى اللصوص بتواضع أمام الإمبراطور، ودون أن يأتوا بجواب أبرز كل واحد منهم لؤلؤة ووضعها على درجات العرش. لمّا رأى الإمبراطور هذه اللآلئ دهش دهشة عظيمة؛ لكن ليتحقق من أنها جاءت من خزانته هو، فقد استدعى كبير الخزنة للمثول أمامه، وأمره بمقارنة الجواهر في الخزانة مع الجرد الذي عُمل في المساء السابق. انصرف الخازن عَجِلاً لفعل ذلك، وبعد فترة قصيرة ظهر من جديد، وأبلغ الإمبراطور أنه، بعد أن أحصى بعناية كل

الجواهر، وقارن الأعداد في الخزانة مع الأعداد في الجرد، وجد أن لآلئ ثلاثاً مفقودةٌ حقّاً.

عند سماع الإمبراطور هذا لم يتردد بعدُ في الوفاء بوعده للصوص الثلاثة. رفعهم من فوره إلى رتبة عالية، وقدم لهم أراضي وأموالاً تكفي لدعم مكانتهم الجديدة، وعاشوا بعد ذلك بسعادة إلى الأبد، مستمتعين بثقة الإمبراطور وصداقة الموظفين العديدين الذين أنقذوهم من الحبس والموت.

الولد المشوه الرأس

يحكى أن هناك رجلاً فقيراً وامرأته لهما طفل واحد فقط، وصادف أن هذا الولد ذو رأس مشوه ناتئ من الأمام والخلف، ما أكسبه منظراً قبيحاً جداً. ومع أن الوالدين قد أحزنهما جداً تشوه ابنهما، فقد أغرما به وربياه باهتمام شديد. لما كبر على نحو كاف صار من عادته كل يوم أن يسوق البقرات إلى المرعى، ويجلس النهار بطوله على سفوح التلال يرقب الأنْعام في رعيها. وعلى هذا النحو أمضى حياته سعيداً جداً إلى حين أَخَذ، لما بلغ الخامسة عشرة، يفكر في أنه يجب أن يتزوج امرأة على غرار الشباب الآخرين، بيد أنه خاف أن لا فتاة ستنظر إليه البتة بسبب تشوّهه.

ذات يوم اتفق أنه ساق بقراته لترعى في مرعى خصيب على طرف بحيرة صغيرة، وبينما كان جالساً بالقرب من شاطئ البحيرة وإذ به يرى بغتة علجوماً(١) أبيض عظيماً يهبط من السماء ويحط على سطح الماء. ما إن استقرَّ على الماء حتى سبح في أرجاء البحيرة ثلاث مرات إلى اليمين ومن ثم ثلاث مرات إلى الشمال، وبعد أن فعل ذلك انصرف طائراً من جديد وغاب في السماء.

راقب الولد سلوك هذا العلجوم بشيء من الاهتمام. لم يكن قد رأى قط طائراً بهذا الجمال والكبر، ولا طائراً له سلوك على هذا النحو الغريب. وهكذا في اليوم الثاني جلس مرة أخرى في المكان نفسه، وجعل انتباهه الحاد على الطائر. في الساعة نفسها كاليوم الذي سبق، ظهر العلجوم من جديد في السماء، وبعد

(١) ذكر البط – المترجم.

أن هبط إلى البحيرة قام بما قام به من قبل. واستمر في فعل ذلك بضعة أيام، والولد يراقب دائماً سلوكه باهتمام زائد.

في آخر الأمر عزم على أن يحاول الإمساك بالعلجوم، فحاك بنفسه حبلاً طويلاً من شعر الياك[١]، طويلاً بما يكفي لتطويق البحيرة تطويقاً كاملاً، ومدّه على الشاطئ في هيئة أنشوطة ممتدة حول البحيرة تماماً؛ وعلى فواصل قصيرة على طول الحبل ربط أنشوطات مصنوعة من أنعم شعر الخيل، وترك أطرافها الحرة طافية في الماء.

في اليوم التالي جاء العلجوم كالمعتاد وأخذ يسبح حول البحيرة إلى اليمين. لم يمضِ مسافة بعيدة حتى وضع قدمه في إحدى الأنشوطات فعلق. نزل الولد من فوره يجري إلى شاطئ البحيرة، وبعد أن أخذ العلجوم في يديه، ربط جناحيه ورجليه معاً، ووضعه على العشب بجانبه.

قال في نفسه: «الآن، ماذا أفعل بهذا العلجوم الأبيض الرائع؟ سوف آخذه إلى المنزل وأقتله، فيكون عشاء رائعاً لأبي ولأمي ولي».

وبينما هو يفكر بهذا، ولدهشته الشديدة، كلّمه العلجوم كما يلي:

قال: «أتوسل إليك ألا تقتلني، يا ولدي الطيب، لأنك يجب أن تعلم أنني في الحقيقة لست علجوماً كما يظهر علي، بل أنا ملك للجن أتيت من إقليم الآلهة. من عادتي كل يوم أن أهبط إلى هذه البحيرة في صورة علجوم أبيض، فأمتع نفسي بالسباحة في الأرجاء. فإن رضيت أن تطلقني كافأتك بسخاء. سوف تنال ذهباً وفضة وجواهر ومرجاناً بقدر ما تحب، وطعاماً فاخراً كل يوم بقية عمرك».

عندما سمع الولد هذا ضحك وأجاب:

«كُفَّ عن إخباري بقصص كهذه. كيف لي أن أعلم أنك حقاً من الجن؟ يبدو لي أن كل ما يتيحه لك وضعك أن تعطيه لي هو ريشك».

---

(١) من دواب التبت – المترجم.

أجاب العلجوم بجد شديد: «أرجوك ألا تكذب كلامي؛ أؤكد لك أنني أستطيع فِعل هذا كله، بل أكثر من ذلك، لو أطلقتني».

قال الولد: «حسناً، إذا كان الأمر كذلك حقاً فإنني سوف أعقد معك صفقة. لست مكترثاً البتة لذهبك أو جواهرك، فما أريده حقاً هو زوجة. إذا أمكنك أن تعدني بتقديم زوجة لي أطلقتك».

قال العلجوم: «حسناً، ذلك أيضاً يمكن تدبيره. لي ثلاث بنات يسكنّ في مملكتي في السموات، وسوف أعطيك أية واحدة ترغب فيها منهن زوجةً. هل تفضل الكبرى أم الصغرى أم الوسطى؟».

سر الولد لسماع عرض العلجوم هذا سروراً عظيماً، وقال في نفسه:

«لن آخذ البنت الكبرى، خوفاً من أن تكون مسنة جداً، ولا الصغرى، خوفاً من أن تكون صغيرة جداً. سوف أختار الوسطى».

وهكذا أخبر العلجوم أنه راغب في ابنته الوسطى.

قال العلجوم: «حسناً جداً، سوف أدبر الأمر بحسب هذا، وسوف ألقاك هنا غداً مع ابنتي الوسطى. لكن هاهنا شرط يرفق دائماً بزواج أحد الفانين من جنية، ألا وهو أنها يمكنها أن تعيش معك فقط تسع سنين. في ختام ذلك الأجل هي ملزمة بالرجوع إلى وطنها في السموات».

وافق الولد على هذا الشرط، ولما رُتبت كل التفاصيل ترتيباً شافياً قطع الحبال التي كانت تقيد العلجوم وأطلقه. نشر الطائر جناحيه وطار عالياً في السماء؛ وبعد أن دار دقائق قليلة طار نحو الأعلى مباشرة وغاب عن البصر، أما الولد فرجع إلى أبيه وأمه.

اعتلى العلجوم طائراً في السماء الزرقاء حتى وصل إلى بلاد الآلهة، وهناك تحول من فوره إلى صورة ملك الجن وفي ملابسه. وبعد أن اتخذ مجلسه على عرشه استدعى بناته الثلاث للمثول أمامه وأعلمهن بما حدث؛ وأصدر

أوامره لابنته الوسطى بأن تهيئ نفسها فوراً للذهاب والزواج من أحد الفانين. بكت الفتاة بمرارة عند سماع هذا، لكنها مع ذلك تهيأت لتنفيذ أوامر أبيها، وأعدت كمية كبيرة من الثياب الجميلة والكثير من الذهب والفضة والجواهر لتأخذها معها.

في اليوم التالي، وفي الساعة الموعودة، نزل الولد إلى البحيرة كالمعتاد، واتخذ مجلسه في موضعه المعتاد؛ ولم يطل به الأمر بعد ذلك حتى رأى العلجوم الأبيض وبطة بيضاء يطيران نحوه من السماء. هبطا سريعاً حتى لامسا الأرض، وهناك تحولا من فورهما إلى ملك الجن وابنته الجميلة. تملكت البهجة الولد لما رأى الزوجة الجميلة التي جُلبت له؛ أما الفتاة فقد هلعت لمظهره القبيح وتوسلت إلى أبيها أن يردها إلى مأواها في السموات. لكن ملك الجن أصر أن تنفذ نصيبها من الصفقة، وهكذا بعد أن ترك ابنته مع الولد، حوَّل نفسه من جديد في صورة علجوم وغاب عن الرؤية مرتفعاً طائراً في السماء.

قاد الولد الآن عروسه عائداً إلى أبيه وأمه، وفي اليوم التالي اكتمل الزواج كما يجب. استطاعت الزوجة الجنية، بوساطة سحرها، أن تقيم قصراً فخماً، وأن تؤثثه بأفخر طريقة بكل ما هو ضروري للراحة؛ أضف إلى ذلك أنها جهزت كل ما يرغب فيه المتزوجان من خيل وخدم وسوى ذلك. وهكذا اتخذ الاثنان مأواهما في هذا المنزل الرائع وعاشا بضع سنين بسعادة، مع الأب والأم المسنين؛ وبمرور الزمان ألفت الزوجة الجنية منظر زوجها الكالح، وازداد تعلقها به سنة بعد سنة.

وهكذا انسلّ الوقت منقضياً وأخيراً بلغت السنوات التسع لإقامة الزوجة الجنية على الأرض نهايتها. لكن الشاب ألف حضورها حتى إنه لم يكن يصدق أن تتحقق كلمات ملك الجن في الواقع وأنه سيُجرَّد حقاً من زوجته مع حلول الوقت الموعود. وهكذا في الليلة الأخيرة من السنة التاسعة ذهب إلى فراشه كما

هو معتاد في غرفته الفخمة، لابساً الحرير النفيس، ومحاطاً بكل شواهد الثروة والترف.

نام بعمق الليل كله، ولما استيقظ صباحاً وجلس ونظر حوله، كم كانت دهشته وهلعه إذ تبيّن أنه، بدلاً من الاضطجاع على سريره الرائع في قصره الفخم، والعدد الكبير من الخدم المتأهبين للقيام بخدمته، أنه كان يرقد على الأرض المجردة تحت السماء المكشوفة، على سفح تل أجرد بالقرب من البقعة حيث تحادث أول مرة مع ملك الجن. قصره وخدمه وخيله وأثاثه والأسوأ من ذلك، زوجته الجميلة اختفوا جميعاً اختفاء كاملاً وبكل معنى الكلمة، ولم يبق من ذلك شيء إلا ذكرى. جرى الشاب، وقد كاد الخَبَل يتملكه بالحزن والغم، جرى مسعوراً في أرجاء البلاد، وهو يظن أنه سيعثر على أثر ما من سعادته التي فقدها.

ظل يجول أياماً، غير شاعر إلا نادراً بما يفعل، وأخيراً، وقد تجاوز حدود الجزء الذي يعرفه من البلاد، وصل ذات يوم في وقت قريب من الظهر إلى شواطئ مفسح واسع من الماء امتد أمامه بقدر امتداد بصره. انتصب بجانب هذه البحيرة هناك جرف مثلهم وفي منتصف المسافة إلى قمة الجرف وعلى نتوء عريض لاحظ عشاً هائلاً، ظهرت فيه أفراخ طير من حجم غير معتاد. لم يستطع أول الأمر أن يتبين نوع تلك الطيور، لكنه بعد أن تفحصها بانتباه لبعض الوقت رأى أنها ثلاثة من صغار الغريفون(١)، من الظاهر أن أبويها قد ذهبا بحثاً عن الطعام.

وبينما كان واقفاً على الشاطئ يراقب الطيور الصغار أخذت فجأة تُظهر كل علائم الفزع والارتباك، تزقزق وتصيح صياحاً حاداً عالياً الواحد تلو الآخر، وترفرف بأجنحتها الضعيفة؛ وعندما التفت نحو البحيرة ليتحقق ما هو سبب ارتياعها، رأى تنيناً هائلاً – رأسه، في آخر عنقه الطويل، قد تعالى فوق الماء – تنيناً يعبر البحيرة

(١) كائن خرافي يصوّر ببدن أسد ورأس طائر، هو عُقاب في المعتاد من الأحوال –المترجم.

مسرعاً بعزم ظاهر على التهام صغار الغريفون. صمم الشاب، وكان ذا فطرة شجاعة وعطوفة، على إنقاذ صغار الغريفون من فكّي هذا الوحش؛ وهكذا انتظر، مستلاً سيفه، حتى وضع التنين قدمه على اليابسة، ثم اشتبك معه، مهاجماً بضراوة، في صراع مستميت هو فيه لوحده. ظلت النتيجة لبعض الوقت غير مؤكدة، لكن الشاب أفلح آخر الأمر بضربة واحدة مسددة جيداً في قطع رأس التنين من رقبته، وسقط الوحش على الشاطئ ميتاً.

لم يكد التنين يلفظ أنفاسه الأخيرة حتى أظلم الجو بأجنحة مخلوق عظيم مارٍّ في الأعلى، وإذ نظر فوقه لاحظ فوقه تماماً، هيئتين لغريفون أبوين عائدين الآن إلى عشهما يطيران فوقه تماماً. ما إن وصلا حتى مضى صغار الغريفون يقصون عليهما بالتفصيل خبر الخطر الكبير الذي نجوا منه لتوّهم، والتصرف الشهم للشاب في ذبحه التنين الذي كان سيهلكهم. سرَّ الغريفون الأبوان لما سمعا هذه القصة سروراً عظيماً، وإذ نظرا نحو الشاب بشيء من الفضول فقد أخذا يبديان ملاحظاتهما على مظهره.

سأل الطائر الذكر: «هل رأيت قط، أيتها الغريغون الأم، مخلوقاً بذلك الوصف قبل الآن؟».

أجابت: «لا، أيها الغريفون الأب، لم أر قط؛ لكن يبدو أنه شجاع وحسن النية في آن واحد. أضف إلى ذلك أنني ألاحظ أنه ليس له منقار ولا مخالب، ولذلك أقترح أن ندعوه إلى العش، ونلقاه بالكرم جزاءً على خدمته الحسنة التي أسداها لأولادنا».

وافق الغريفون الأب على هذا الاقتراح، وطار من فوره نازلاً إلى الشاطئ وإذ خاطب الشاب فقد دعاه إلى دخول العش. قبل الشاب الدعوة، وإذ شرح بأنه غير قادر على الطيران فقد امتطى ظهر الغريفون فحمله سريعاً صاعداً الجرف ووضعه مع الصغار في العش. بعد أن تعشى الشاب عشاء لذيذاً من الطعام

الذي جلبه لتوّهما الغريفون الأبوان لصغارهما، قص على الأسرة كل مغامراته المتنوعة منذ أول معرفته بالملك الجني.

قال الغريفون الأب: «إن قصتك قصة حزينة جداً، في رأيي أنت لم تلق معاملة حسنة البتة؛ لكن إن أحببت فلربما أكون صاحب معونة لك. أقترح أن تمتطي ظهري فأحملك في الجو إلى مملكة الآلهة، وهناك يمكنك أن تشرح قضيتك لملك الجن شخصياً، وسوف تحظى هناك، على أية حال، بفرصة لإقناع زوجتك بأن تصطحبك راجعة إلى الأرض».

وافق الشاب على هذا الاقتراح مبتهجاً، وامتطى ظهر الغريفون؛ وإذ بسط الطائر العظيم جناحيه فقد حلَّق نحو الأعلى مباشرة صاعداً في السماء الزرقاء، حاملاً الشاب معه. طار نحو الأعلى، أما الأرض فبدا أنها تتراجع نحو البعيد وتصغر وتزداد صغراً، إلى أن غابت في آخر الأمر عن الرؤية كلياً. ومع ذلك فقد ظلا في طيرانهما إلى أن وصلا، قرب حلول الليل، إلى بلاد الآلهة. طار الغريفون، والشاب على ظهره، داخلاً مباشرة البوابات الذهبية العظيمة. ووضع الشاب وسط الفناء الفسيح الذي كان يجلس حوله عدد من الآلهة والجن وغيرهم من سكان السماء.

لما رأى الآلهة بشراً قد وُضع وسطهم هبوا غاضبين غضباً شديداً، وأخذوا يؤنبون الغريفون على ما فعل تأنيباً لاذعاً.

قالوا: «كيف تجرأت أن تجلب إلى حضرتنا، دون أن تؤمر، أحد سكان عالم البشر؟ ألا تعلم أن البشر هم من جوهر أكثر خشونة من جوهرنا وأنهم بغيضون لنا وكريهون؟ كيف تجرأت على تلويث بلاد الآلهة المقدسة؟».

لكن الغريفون لم يخف من غضبهم البتة، فأجابهم بجسارة وثبات:

قال: «هذا شاب باسل وطيب القلب. لقد أنقذ صغاري من الهلاك إذ هاجم بمفرده فقتل تنيناً كان يوشك أن يلتهمهم. ثم إنه روى لي قصته كيف أنه،

بعد تسع سنين من السعادة، قد جُرِّد على يد ملك الجن من زوجته ومنزله وثروته وكل ما قد ملكه. لأجل هذا فإنني أعتبر أنه قد عُومل بطريقة معيبة وجائرة، ولهذا جلبته إلى هنا ليشرح قضيته شخصياً ويطالب بالتعويض».

بينما كانت هذه المحادثة جارية كانت الجنية زوجة الشاب مختبئة في زاوية، يمنعها شديد القلق من إظهار نفسها أمام زوجها ومجمع الآلهة كلهم. أما الآن فلم تعد تستطيع ضبط نفسها، وإذ اندفعت إلى الأمام فقد ألقت بنفسها بين ذراعي زوجها وهي تصيح بأنها تحبه وتريد العودة معه إلى الأرض.

لما سمع أبوها هذا لم يدر ماذا يفعل، لكن تقرّر عقْدُ اجتماع سري والتداولُ في الأمر مطولاً. وهكذا التقت القوى السماوية جميعاً في مجلس عظيم، وبعد مناقشة الأمر بكل آثاره، قرروا أنه مادامت الأميرة الجنية ترغب في العودة إلى الأرض بإرادتها الحرة، فإنهم لن يقفوا في وجهها؛ لكن إن فعلت ذلك، كان عليها أن تحمل عاقبة فعلتها، ألا وهي أنه نتيجة لاقترانها بمخلوق غير طاهر مثل الإنسان فإنه يتعين عليها أن تصبح من الفانين وتفقد طبيعتها الجنية.

عند سماع الفتاة هذا القرار وافقت مبتهجة. وهكذا امتطت مع زوجها ظهر الغريفون، ونشر الحيوان العظيم جناحيه وطار مجتازاً بوابات القصر الذهبية وانقض هابطاً السموات الزرقاء نحو الأرض في الأسفل. سرعان ما وضع الشاب وزوجته على الأرض بالقرب من منزلهما القديم، وهناك ودّعهما وعاد إلى عشه. ومنذئذ، ومع أن الجنية قد فقدت قواها السحرية، فقد عاش الاثنان بسعادة معاً، وبلغا شيخوخة طيبة في ظروف من الرخاء والراحة.

الأمير وحصن الغول

يحكى أنه كان ملك وملكة، ومع أنه قد مضى على زواجهما سنين طويلة فإنهما لم ينجبا أولاداً يبهجون شيخوختهما أو يرثون مملكتهما؛ وصادف أنه كان في حوزة الملك مهرة وكلب محبوبان، أيضاً ليس لهما نسل. الآن لقد اهتم الملك والملكة كلاهما اهتماماً عظيماً. بأن ينجبا أولاداً لهما، وليديما أيضاً النسل الرائع الذي تمثله المهرة والكلب؛ وهكذا نشر الملك إعلاناً في أرجاء مملكته كلها يعرض فيه مكافأة عظيمة جداً لأي لاما(١) أو أي شخصية دينية أخرى يستطيع ضمان أن يولد له ولفرسه وكلبه أولاد.

استجابة لهذا الإعلان قدَّم الكثير من اللاما والنسَّاك أنفسهم في القصر، وحاولوا بوساطة الصلوات والمراسم الدينية أن يحصلوا من الآلهة على ما رغب الملك والملكة فيه؛ لكن مساعيهم كلها ذهبت سدىً، ومرت السنون دون ولادة أي نسل.

الآن اتفق أنه كان يسكن في بلاد مجاورة غول ضخم، كان خبيراً في السحر وكل الفنون السوداء؛ وقد تناهى إلى سمعه أن هذا الملك قد عرض مكافأة ضخمة إن استطاع أحد أن يضمن أن يولد أولاد له، ولفرسه وكلبه. وهكذا تنكّر في زي لاما تقي، وبعد أن قدم إلى القصر ذات يوم مشياً على قدميه طلب مقابلة الملك. استقبله الملك، وكان قد أوشك على فقد كل إيمان باللاما مهما كان نوعهم، استقبله بدماثة، وسأله عما يمكنه فعله لتقديم العون في الأمر.

---

(١) رجل الدين في التبت – المترجم.

أجاب الذي ظُن أنه لاما: «أوه، أيها الملك! لتعلم أني ناسك عظيم، ونتيجة لسنين طويلة من التأمل معتزلاً، فقد صرت بارعاً في الفنون السوداء جميعاً. سوف أتعهد أن أضمن لك ولفرسك ولكلبك ولادة نسل كما ترغب. لكن يمكنني فعل ذلك فقط بشرط واحد، ألا وهو: سيولد لك ثلاثة أولاد، ولفرسك ثلاثة ولكلبك ثلاثة. سوف يكونون جميعاً من طبيعة عجائبية، وسوف يبلغون كامل قوتهم في ظرف ثلاث سنين. في آخر السنين الثلاث سوف أعود إلى هنا، وسوف أستحق عندك من كل ثلاثة واحداً يتبعني ويخدمني ويطيع أوامري في كل الأمور».

وافق الملك على هذا الشرط مبتهجاً، وسأل اللاما كيف سيباشر العمل من أجل ضمان النتيجة المرغوبة. أجاب اللاما:

«ها هي، أيها الملك، تسع حبات؛ يجب إعطاء ثلاث منها للملكة وثلاث للفرس وثلاث للكلب. في ظرف ثلاثة أشهر سوف يولد لكل واحدة ولد، يأتي بعده اثنان بفاصلين مقدار كل واحد منهما شهر».

وإذ قال ذلك فقد سلَّم الحبات إلى الملك ورحل من فوره. وفقاً لذلك أعطى الملك الحبات بحسب ما وُجِّه به، وبعد ثلاثة أشهر ولدت الملكة صبياً، والمهرة مهراً، والكلب جرواً، وتبع ذلك اثنان بفاصلين مقدار كل واحد منها شهر بحسب ما تنبأ اللاما.

ربي الصغار كلهم بسرعة، وفي ختام السنوات الثلاث نالوا جميعاً بلوغهم وقواهم، وعند انتهاء السنة الثالثة رجع الغول، الذي حفظ بدقة موعده وظل متنكراً بصفة لاما، رجع إلى القصر ليطلب حقَّه.

مع تردد الملك والملكة في مفارقة أي من أولادهما، فقد عزما على الالتزام بصفقتهما، وتشاورا معاً في أيّ من الأمراء الشباب سوف يسلّم إلى اللاما. بعد تفكير قررا أنه ليس من المستحسن التخلي عن الابن الأكبر، لأنه الوارث للعرش، ولا عن الثاني، الذي يجب أن يخلف على المملكة إذا أصاب أخاه

الأكبر حادث أو بلية؛ وهكذا عزما على إرسال الابن الأصغر، ومعه الفرس الأصغر والكلب الأصغر. وتبعاً لذلك سلّم هؤلاء الثلاثة إلى اللاما، الذي أمر الأمير بأن يتبعه، ورحل من فوره إلى بلده.

بعد أن ارتحلوا مسافة طويلة وصلوا قمة ممر عال، وهناك قال الغول، وهو يشير نحو الأسفل إلى حصن عظيم ينتصب تحت في الوادي، قال للأمير الشاب:

«ذلك هو منزلي تحت هناك؛ سوف أفارقك هنا فيجب عليك أن تنزل إلى المنزل. عند وصولك إلى هناك سوف تجد عنزة مربوطة بالقرب من باب الفناء، وحزمة من القش ملقاة بجوارها. يجب أن تتناول حزمة القش وتضعها في متناول العنزة. يجب عليك بعد ذلك أن تدخل الحظيرة، ستجد هناك الكثير من الطيور، وستجد في زاوية جرةً من خزف ملأى بالحب المنقوع. يجب عليك أن تنثر هذا الحب للطيور حتى تأكله. أعطيك هذين الواجبين اليوم، فإياك أن تدخل حصني حتى أنضم إليك ثانية في المساء».

قال الغول هذا وانصرف في جهة أخرى، أما الأمير الشاب فنزل، راكباً حصانه ويتبعه كلبه، إلى حصن الغول. لما وصل إلى البوابة وجد، كما تنبأ الغول، عنزة مربوطة وحزمة من القش ملقاة في زاوية من الفناء. وهكذا ترجَّل عن حصانه، وتناول الحزمة فحملها إلى الماعز ووضعها على الأرض. لم تكد الحزمة تمس الأرض حتى تحولت إلى ثلاثة ذئاب عظيمة وثبت على الماعز والتهمتها في لحظة، ثم فرت إلى التلال.

دهش الأمير الشاب لرؤية هذا دهشة شديدة، لكن لروحه الشجاعة لم يترك الحادثة تخيفه، فمضى ليكمل بقية واجبه. وهكذا دخل الزريبة حيث تُحفظ الطيور الداجنة، وتقدَّم إلى الزاوية حيث تنتصب جرة الشعير المنقوع فأخذ منه حفنة فنثرها وسط الطيور. ما إن لمس الحب الأرض حتى تحول حالاً إلى ثلاث قطط برية وثبت بضراوة على الديوك والدجاجات، وفي دقائق فرت فدخلت التلال بعد أن أهلكتها كلها.

ثار فضول الأمير الآن على نحو تام، فعزم، رغم إنذار الغول، على دخول المنزل بنفسه واكتشاف نوع المكان الذي قدم إليه، وهكذا فتح باب الحصن وأخذ يتجول في أرجاء المنزل كلها. لبعض الوقت لم يعثر على شيء يثير اهتمامه. كانت الغرف كلها حسنة الأثاث ومرتبة ترتيباً جيداً، لكن لم يعثر على أثر لمخلوق حي أو لصوته.

أخيراً، بعد أن استكشف الجزء الأكبر من البناء، انعطف فجأة عند زاوية في ممر فرأى أمامه غرفة جدرانها مكونة كلياً من الزجاج. دخل هذه الغرفة فرأى في زاوية منها سيدة جميلة مستلقية نائمة على سرير وخلف أذنها زهرة. سر الأمير لعثوره على بشر في هذا الحصن المهجور والغامض، وحاول، وقد دنا من السيدة، أن يبعثها من نومها. لكن جهوده كانت عبثاً؛ كان يظهر عليها أنها في نوع من الغيبوبة، ولم يفلح في إيقاظها مع كل ما فعله.

أخيراً نزع يائساً الزهرة التي وضعت خلف أذنها، ولما فعل ذلك استيقظت وجلست على سريرها وهي تفرك عينيها. ما إن رأت الأمير الشاب حتى دهشت دهشة شديدة، فسألته ماذا يفعل في حصن الغول. حدثها الأمير بكامل قصة مولده العجائبي بوساطة سحر اللاما المقدس، وكيف حكم عليه أن يكون خادماً للاما بالاتفاق الذي أجراه أبوه الملك، وكيف نفّذ الواجبين اللذين أعطاهما إياه اللاما في ذلك اليوم.

عند سماع السيدة هذه القصة سخطت سخطاً شديداً، وكلمته كما يلي:

قالت: «لتعلم، أيها الأمير، أن الشخص الذي تحسبه لاما هو في الحقيقة غول مخيف وشرير. طعامه الأوحد الذي يتخذه هو قلوب البشر، وهذا المنزل ملآن بالأجساد التي بلا حياة، أجساد ضحاياه الكثيرين. لكنه لا يستطيع الحصول على أي سلطان على جسدٍ بشري ما لم يعصِ ذلك البشري أوامره. هذا هو سبب ممارسته للحصول على خادم جديد يكلفه بواجبات غريبة تفزعه وتنفّره. تزداد هذه الواجبات صعوبة وبغضاً شيئاً فشيئاً، إلى أن يعصي الخادم ذات يوم أوامره فيكون جسده من فوره تحت رحمة الغول، الذي يلتهم القلب ويضع الجسد

الذي بلا حياة في غرفة كبيرة في مؤخرة منزله. من الواضح أن العملية قد بدأت معك اليوم. لقد قمت بواجبيه كليهما دون أن تسمح لنفسك أن تفزعك الأعاجيب الغريبة التي لاحظتها، لكن عند رجوعه فإنه بلا شك سوف يكلفك أيضاً بتأدية المزيد من الواجبات الكريهة. لتعلم أنني كنت أميرةً في بلدي، وقد سلمني والدي إلى الغول منذ نحو سنة في ظروف مماثلة جداً لظروفك. لكنه لما جلبني إلى حصنه، وبدلاً من إهلاكي كما يفعل بضحاياه الآخرين، فقد وقع في حبي فبقيت هنا زوجة له منذئذ. لكنه ذو ميل غيور جداً، فلا يسمح لي البتة بمغادرة الحصن؛ ولخوفه من أن أهرب في غيابه، فقد ثابر، قبل خروجه، على أن يضع خلف أذني زهرة مسحورة تجعلني أقع في غيبوبة، فلا يمكنني الاستيقاظ إلى حين نزع الزهرة».

اهتم الأمير الشاب عند سماع هذه القصة اهتماماً شديداً، والتمس من الأميرة أن تعطيه المزيد من المعلومات عن عادات الغول، لئلا يسقط لاشعورياً تحت سلطانه، ولعله يتمكن في نهاية المطاف من إلحاق الهلاك بالوحش.

أجابت الأميرة: «إنه لمن الصعب جداً على أي بشري أن يقتل الغول، لأنه من جوهر فوق الطبيعة، وحتى لو أنك قطعت رأسه فإنه سوف يرتد إلى الحياة من فوره، ما لم تتلف أيضاً «جالب الحظ»[1] الذي له – أعني الشيء الذي تتوقف على حفظه حياتهُ في هذا العالم. الآن جالب حظ الغول مخبأ بعناية بالغة، ولا يعلم بوجوده وموضعه شخصٌ غيري. لقد اكتشفت أين هو، وسوف أفشي لك سره لاحقاً، لكني سوف أحدثك أولاً عن الطريقة التي تستطيع بها تدمير جسد الغول. لتعلم، إذاً، أنه من الممكن لبشري أن يضرب الغول ضربة قاتلة فقط حين يكون محوّلاً وجهه عنه. إنه

(١) يُدعى «لا» باللسان التبتي. من العسير العثور على كلمة مرادفة لهذه اللفظة، لكن الأميرة تصف معناها. انظر أيضاً قصة «باتشا وباكي من بلاد روم» حيث ترد نفس الخرافة.

يعلم هذا جيداً جداً، ولن يدير ظهره لإنسان أبداً في أي ظرف من الظروف. على نحو مماثل، إذا استطاع أن يجعلك تدير له ظهرك فلربما يستطيع أن يلحق بك ضرراً. عندما يرجع مساء اليوم ويجد أنك قمت بالواجبين كليهما اللذين كلفك بهما، فإن أول شيء سيأمرك بفعله هو أن تمشي فتدور ثلاث مرات حول موقد عظيم ينتصب وسط المطبخ؛ فإذا أطعت أوامره فإنه سوف يلحق بك من خلفك ولربما يصيبك بأذى حين يكون ظهرك في جهته. حين يعطيك هذه الأوامر، إذاً، فلا يجوز لك أن تعصيه، بل يجب أن تقول للغول إن المطبخ في ظلمة شديدة بحيث إنك لا تستطيع أن ترى طريقك بوضوح، ويجب أن تطلب منه أن يتقدَّمك. إنه ملزم بفعل هذا، وفيما هو يدور حول الموقد فلربما تجد فرصة لطعنه. لكن إن لم يمكنك أن تفلح في فعل ذلك، وتجاوزتما كلاكما هذه المحنة بنجاح، فإنه لن يكلفك بواجب آخر الليلة، وأنا سوف أتحقق منه أثناء المساء لأعرف ما التجربة التي يدخرها لك غداً».

شكر الأمير السيدة الشابة على نصائحها الطيبة، التي قطع وعداً بأن يتبعها بأمانة بكل التفاصيل، حينئذ قالت له:

«لقد حان الآن وقت عودة الغول. سوف اضطجع على السرير، فلتضع الزهرة خلف أذني مثلما كانت قبلاً؛ وعندما أقع في غيبوبة فإنه يجب عليك أن تخرج من فورك إلى الفناء وتنتظر عودة الغول، احذر أن تدعه يعلم بأنك دخلت الحصن».

إذ قالت الأميرة هذا فقد اضطجعت على سريرها، وإذ وضع الشاب الزهرة خلف أذنها فقد وقعت حالاً في غيبوبة عميقة. حينئذ خرج الأمير إلى الفناء، وبعد ذلك بقليل وصل الغول. لقد طرح الآن زي اللاما الذي كان عليه فظهر في هيئته الحقيقية، وإذ تقدَّم راكباً نحو الأمير فقد سأله بنبرة غاضبة هل نفَّذ الأوامر التي تلقاها، وعندما رد الأمير بالإيجاب، أمرهُ الغول بأن يدخل المطبخ.

عند دخوله المطبخ أشار الغول إلى موقد عظيم ينتصب في الوسط، وقال للأمير:

«يجب عليك الآن أن تمشي فتدور حول ذلك الموقد ثلاث مرات».

أجاب الأمير: «الظلام شديد هنا، فلا يمكنني أن أرى طريقي بوضوح البتة. هلاَّ قدَّمتني، من فضلك، وأريتني الطريق؟».

غضب الغول لسماع هذا غضباً شديداً، لكن لا يمكنه الرفض، وهكذا انطلق وجرى حول الموقد ثلاث مرات، والأمير على أعقابه عن قرب. لكنه مضى بسرعة شديدة حتى إن الأمير، وإن كانت سكينة جاهزة في يده، لم يستطع اللحاق به؛ وإذ رأى الغول أنه لا يمكن خداع الأمير بهذه الحيلة فقد صعد إلى زوجته فوق، تاركاً الشاب محبوساً في المطبخ، حيث أمضى الليل وحده.

في الصباح التالي انطلق الغول بعد طلوع ضوء النهار مباشرة ومضى لشأنه، وما إن انصرف حتى جرى الأمير فصعد إلى الغرفة الزجاجية، وهناك وجد السيدة مضطجعة في غيبوبة كما قبل. أخذ الزهرة من خلف أذنها، فاستفاقت فوراً ونظرت حولها.

قالت: «صباح الخير، أيها الأمير. كيف كان نجاحك ليلة أمس؟ لي أمل أنك قد اتبعت الإرشادات التي أعطيتك إياها».

وصف لها الأمير ما حدث، فقالت:

«لقد تحققت مما ينوي الغول فعله عند رجوعه مساء اليوم. سوف يتخذ مجلسه في كرسي أبهته في قاعة الاستقبال العظيمة التي له وسوف يأمرك بأن تسجد له ثلاث مرات، فإذا فعلت ذلك انتهز فرصة انكبابك أمامه على وجهك ليلحق بك أذى. لن يُجديك البتة أن تعصي أوامره؛ لكن يجب عليك أن تشرح له بأنك لما كنت أميراً فأنت لم تُضطر قط للسجود لأحد ولست تعلم بالضبط كيف تفعل ذلك، ويجب أن تطلب منه أن يعرّفك الطريقة الصحيحة للشروع. لا يمكنه

رفض طلبك، فيجب عليك انتهاز فرصة طعنه أو قطع رأسه بينما ينكب على وجهه أمامك. إذا نجحت في هذا فتعالَ إليَّ من فورك، فأعرّفك الأشياء الأخرى الضرورية لتحقيق دماره الكامل».

قطع الأمير وعداً بإطاعة أوامر السيدة، وبعد أن أرسلها في الغيبوبة من جديد بأن وضع الزهرة السحرية خلف أذنها، رجع إلى الفناء وانتظر عودة الغول. قبيل الغسق عاد الغول وكما تنبأت الأميرة فقد مضى من فوره إلى قاعة الاستقبال الكبرى، واتخذ مجلسه على كرسي أبهته.

قال للأمير: «الآن، يجب أن تسجد لي ثلاث مرات».

أجاب الأمير: «يؤسفني جداً أنني لا أعرف كيف أفعل ذلك. لما كنت أميراً فأنا لم أضطر قط للسجود لأحد؛ لكن لو أنك عرَّفتني الطريقة الصحيحة للشروع فإنني سوف أبذل وسعي لفعل ذلك».

أغضب هذا الجواب الغول غضباً شديداً، لكنه لم يستطع أن يرفض فِعْل ما طلبه الأمير منه. وهكذا اتخذ الأمير مجلسه على كرسي الغول وإذ جثا الغول على الأرض أمامه فقد شرع في السجود ثلاث مرات بالطريقة القويمة. لما مسَّ وجه الغول الأرض أول مرة استل الأمير سيفه؛ ولما مسَّ الأرض مرة ثانية رفع السيف فوق رأسه؛ ولما مسَّ الأرض في المرة الثالثة والأخيرة سدد الأمير ضربة عنيفة، قاطعاً رأس الغول عن جسده على نحو كامل. إذ ترك الأمير الجسد ملقى حيث هو، فقد جرى صاعداً إلى الغرفة الزجاجية بأسرع ما يمكنه، وإذ أوقظ السيدة من رقدتها، فقد قصَّ عليها ما حصل.

قالت: «أحسنت! اكتمل الآن الجزء الأول من مهمتك؛ لكن كما حدثتك قبلاً، لا يزال من الضروري إتلاف جالب حظ الغول، وإلا عاد إلى الحياة من جديد في وقت قصير. ما يجب عليك فعله الآن، إذاً، هو ما يلي: يجب أن تنزل إلى السراديب تحت الحصْن، وبعد أن تجتاز تسع غرف مظلمة تحت الأرض، فإنك سوف تصل جداراً من حجر بلا خرق. يجب أن تدق على هذا

الجدار ثلاث مرات بمقبض سيفك، صائحاً مع كل دقة: افتح، أيها الجدار الذي بلا خرق؛ وعند نطقك بهذه الكلمات ثالث مرة فإن الجدار سوف ينزاح مبتعداً، وسوف تجد نفسك داخلاً إلى غرفة أخرى تحت الأرض. وسط هذه الغرفة سوف ترى ولداً جميلاً جالساً في يده قدحٌ من سائل صافٍ. هذا الولد هو جالب حظ الغول، وعلى وجوده تتوقف حياة الغول في هذا العالم. يجب أن تذبح الولد من فورك ثم تأخذ بيدك القدح بحذر شديد فتحمله وتصعد به إليّ. لكن احذر أن تريق من السائل شيئاً، فكل قطرة معناها حياة إنسان».

عند تلقي الأمير هذه الإرشادات نزل إلى سراديب الدور الأرضي من الحصن، وبعد أن اجتاز تسع غرف عظيمة تحت الأرض، وجد أن تقدّمه قد أوقِف عند جدار بلا خرق. رافعاً سيفه دق بالمقبض على الجدار ثلاث مرات، صائحاً في كل مرة وهو يفعل ذلك: «افتح، أيها الجدار بلا خرق». لما نطق بهذه الكلمات للمرة الثالثة سُمع صوت صرير، وانزاح الباب من طريقه مُصدراً رنيناً أجوف.

تقدَّم الأمير خطوات قليلة فوجد نفسه في زنزانة صغيرة، يضيئها فقط الوميض الصادر عن قدحٍ من سائل صافٍ يحمله ولد صغير جميل في يده اتخذ مجلسه وسط الغرفة. دون أن يتردد الأمير لحظة فقد غرز سيفه في قلب الولد، وبعد أن أخذ القدح في يده، حمله وصعد به إلى الأميرة، محاذراً في طريقه ألا يسمح لقطرة واحدة بأن تراق.

لما رأته الأميرة يدخل غرفتها والقدح في يده ابتهجت كثيراً.

قالت: «الآن هلك الغول فعلياً، ولن يمكنه العودة إلى الحياة في هذا العالم أبداً. كل ما يبقى الآن ليُفعل هو ردُّ ضحاياه السابقين إلى الحياة».

ثم أمرت الأمير، الذي ما زال يحمل القدح، أن يتبعها، ومضت في ممرات وسلالم لولبية إلى جزء بعيد من الحصن العظيم. وإذ فتحت باباً ضخماً، فقد دخلت في الحال إلى غرفة طويلة واطئة مظلمة، لا تضيئها سوى نافذة

ضيقة تطلّ على الجزء الخلفي من الحصن. لما دخل الأمير هذه الغرفة هلع إذ رأى وقد تمدد على جانبيها كليهما أجساد العشرات الكثيرة من الرجال والنساء والأطفال، الذين استلقوا هناك في كامل ثيابهم، ولجميعهم مظهرٌ عديم الحياة كلياً.

قالت السيدة: «هذه أجساد ضحايا الغول؛ لقد أكل قلوبهم، أما أجسادهم، كما ترى، فلم تمس بأذى، أما روح كل واحد فقد رُكّزت في قطرة من السائل الصافي الذي امتلأ به ذلك القدح. يجب الآن أن ترش الأجساد بالسائل، فتهب قطرة واحدة لكل جسد».

وفقاً لذلك سار الأمير مستعرضاً صفوف الأجساد التي بلا حياة، مقطراً وهو يمضي قطرة واحدة من السائل السحري على كل جسد؛ ولما كان السائل يمس الجسد كانت الحياة تعود، كان كل شخص يتحرك ويتثاءب، كما لو أنه استيقظ من نوم طويل، وكان أخيراً يجلس ويأخذ في الكلام والمشي. في دقائق قليلة كان التحوّل قد اكتمل، ورجع ضحايا الغول إلى أوطانهم، بعد أن شكروا الأمير والأميرة شكراً قلبياً لخدماتهم الطيبة. الأمير نفسه ودَّع السيدة، وبعد أن ترك لها مُلك حصن الغول وكل ما يتعلق به، فقد امتطى فرسه ورحل، يتبعه كلبه، بحثاً عن المزيد من المغامرات.

[هذه فقط الحلقة الأولى من مغامرات الأمير، وهي تستمر في امتداد لا متناهٍ. لقد أوردت هذا القسم كعينة من الكل].

قصة الأسد الحجري

يحكى أنه كان هناك أخوان مات والدهما فعاشا وحدهما مع أمهما في منزل كبير في وادٍ ذي زرع جيد.

الآن، كان أكبر الأخوين رجلاً نشيطاً وذكيّاً، لكنه كان ذا طبع أناني وخال من الرحمة جداً؛ كان الأخ الأصغر بسيطاً ولطيفاً، لكنه كان فاتر الهمة إلى حدٍ ما. كانت عاقبة ذلك أن الأخ الأكبر قد تولى أكثر أعمال الأسرة بنفسه بعد وفاة أبيه، فأعال أخاه وأمه كلياً؛ أما الأخ الأصغر، فمع كونه راغباً تماماً في بذل ما بوسعه، فلم يكن ذكياً بما يكفي ليقدم أية مساعدة لأهله.

بعد حينٍ قرّر الأخ الأكبر في عقله أنه لم يعد يحتمل حالة الأمور هذه، فأخذ أخاه الصغير جانباً ذات يوم، وأخبره بصراحة أنه لن يستمر في إعالة مغفّل مثله، وأن من الخير له الخروج إلى العالم والسعي وراء حظّه بنفسه. حزن الولد المسكين لسماع هذا القرار من أخيه حزناً شديداً؛ لكنه كان عاجزاً كلياً عن الاحتجاج أو الجدال، وهكذا ذهب بعد أن حزم متعلقاته القليلة، ليودّع أمه، وأخبرها بما حدث. غضبت المرأة الطيبة لمّا سمعت الخبر غضباً شديداً، وقالت لابنها:

«حسناً جداً، إذا كان أخوك قاسي القلب مصرّاً على طردك من المنزل، فأنا سأرافقك. لا يمكنني الموافقة على البقاء أبداً مع ابنٍ قاسٍ وغير سوي كهذا».

وهكذا تركت الأم وابنها الأصغر في اليوم التالي المنزل ورحلا معاً يسعيان وراء وسيلة للمعيشة دون مساعدة أحد. بعد أن سارا مسافة قليلة وصلا إلى كوخ فارغ قائم عند أسفل تلّ عظيم، غير بعيد عن بلدة كثيرة السكان؛ وإذ وجدا أن المكان

مهجور على نحو ظاهر وأن المالك، كائناً من يكون، لم يترك ما يُظهر أنه يعتزم العودة، فقد امتلكا الكوخ، وناما هناك ليلتهما.

في باكر صباح اليوم التالي خرج الولد حاملاً فأساً إلى سفح التل وأخذ يقطع الحطب. بحلول المساء كان قد قطع حزمة من الحطب كبيرة جيدة، حملها إلى البلدة وباعها في السوق بمبلغ جيد من المال. وعاد، مبتهجاً كثيراً لنجاح جهوده، عاد إلى أمه في الكوخ وأراها المال الذي كسبه، وأخبرها أنه لم يعد عليها أن تهتم بأمر المستقبل، لأنه أصبح الآن قادراً على إعالتها دون صعوبة. في الصباح التالي، انطلق من جديد، وفأسه على كتفه، وأخذ كما قبل في تقطيع الحطب. قام في الصباح بعمل جيد، ولمّا مشى يصعد التّل قليلاً بحثاً عن خشب أفضل، وجد نفسه، في جزء مستتر من سفح التل، بغتة وجهاً لوجه مع أسد عظيم منحوت من الحجر بحجمه لو كان حياً.

قال في نفسه عند رؤية الأسد:

«الآن، هذا، بلا شك، هو الرب الحارس لهذا الجبل، والفضل له حتماً في حسن حظي ونيلي وسيلة للمعيشة بهذه السهولة. بالتأكيد سوف أقدّم له تقدمةً غداً».

وهكذا اشترى مساء ذلك اليوم، بعد أن باع حطبه، شمعتين من البلدة، وفي اليوم التالي ذهب مباشرة إلى حيث يقوم الأسد الحجري، وبعد أن أوقد الشمعتين، وضع واحدة على كل جانب من الصورة، وسجد متذلّلاً على الأرض أمامها، وصلى طلباً لحظ طيب متجدد. وفجأة، ولدهشته وارتياعه، فتح الأسد فمه، فسأله ماذا يفعل هناك.

أجاب الشاب أنه بعد أن طَرده أخوه المتكبر والقاسي القلب من منزله فهو يعمل الآن على كسب معيشته بقطع الحطب على ذلك التل؛ وأنه، إذ حَسِبَ أنّ الأسد حتماً هو الرب الحارس للجبل، قد رأى أنه من الصواب تقديمُ تقدمة من نوع ما، وطلبُ رعايته ومساعدته المستمرتين.

أجاب الأسد بنبرة صوت صادر من الحلق: «حسناً جداً، تعال مرة أخرى في هذا الوقت غداً، واجلب معك دلواً عظيماً، فأُمدُّك من فورك بما تطلبه من ثروة».

شكر الولد الأسد على لطفه، وإذ حمل حِمله من الحطب فقد نزل به إلى القرية فباعه بثمن جيد، واشترى بما ربحه دلواً خشبياً عظيماً.

في الصباح التالي مضى فصعد التل من جديد، حاملاً دلوه ولما وصل قرب الأسد الحجري، سجد من جديد على الأرض وأعلن حضوره.

أجاب الأسد: «حسناً جداً، يجب عليك الآن أن تفعل كما يلي: احمل الدلو تحت فمي، ولسوف أتقيّأ فيه ذهباً. لكن يجب عليك حالما يكاد يمتلئ أن تخبرني، لأنه لا يجوز بحال من الأحوال أن يسقط على الأرض شيء من الذهب ولو قليل».

ابتدأ الشاب يفعل حسب ما وجّهه الأسد. حمل الدلو تحت فم الأسد، فأخذ الأسد حالاً يتقيّأ فيه دفقاً من القطع الذهبية. لما كاد الدلو يمتلئ أعلم الشاب الأسد بحقيقة الأمر، وفي الحال انقطع دفق الذهب؛ وبعد أن شكر الشاب الأسد من قلبه على هبته الكريمة، حمل دلو ذهبه وانصرف إلى أمّه بفرحة النصر. فزعت المرأة المسكينة جداً أول الأمر لرؤية ثروة كبيرة بهذا القدر، لكن لما شرح لها ابنها من أين جاء بالثروة، ثارت ابتهاجاً وسُرَّت.

في اليوم التالي أخذت الأرملة وابنها يعملان على وضع نفسيهما في ظروف أكثر راحة. اشتريا منزلاً كبيراً في مزرعة في الجوار، وعدداً كبيراً من الأبقار والأغنام، واستقرّا في مقرّهما الجديد، ومنذئذٍ أخذا في العيش بصورة مريحة ورخيمة جداً.

سرعان ما وصلت إلى أذني الأخ الأكبر أخبار الشرط المتغير لحياة أمّه وأخيه الأصغر، وإذ غلبه الفضول لمعرفة كيف حصلت هذه النتيجة، فقد قرر

أن يزورهما ليتحقق من سبب رخائهما. وهكذا خرج ليزورهما، ترافقه زوجته، حاملاً معه قطعة من القماش صغيرة جداً. لما وصل إلى المنزل كان أخوه الأصغر في الخارج مشغولاً في شؤون مزرعته، لكن الأم استقبلت ابنها الأكبر وزوجته بلطف بالغ وقدمت لهما من وسائل الراحة ما استطاعت. في المساء، لما عاد الأخ الأصغر، حيّا أخاه بود، ولما كان له من طبع مسامح وعطوف، فقد روى له على التمام الطريقة التي وصل بها إلى غناه، وأوصى أخاه بقوة أن يفعل على نحو مماثل.

لما رجع الأخ الأكبر وزوجته إلى منزلهما معاً مساء ذلك اليوم، تداولا في الأمر، فقررا أنه لا يجوز تضييع هذه الفرصة الحسنة لكسب المال بهذه السهولة. وهكذا أخذ الزوج طريقه إلى البلدة في اليوم التالي، وبعد بحث مطوّل اشترى أعظم دلو وُجد في المكان كلّه. ومضى إلى سفح التل حاملاً هذا معه، وجالباً أيضاً شمعتين، وإذ اتّبع التوجيهات التي تلقاها من أخيه، سرعان ما وجد نفسه وجهاً لوجه مع الأسد الحجري. أوقد من فوره شمعتيه ووضعهما واحدة على كل جانب من الأسد، أما هو فسجد على الأرض وصلى للأسد طالباً الحظ السعيد.

قال الأسد بصوت أجشّ: «من أنت؟ وماذا تريد؟».

أجاب الأخ الأكبر: «أنا أخو الشاب الذي كان هنا ذلك اليوم، والذي أعطيته الكثير من الذهب. ولقد جئت الآن تبعاً، لنصيحته، أسألك لنفسي فائدة مماثلة».

قال الأسد: «حسناً جداً، ضع دلوك تحت فمي ولسوف أتقيّأ فيه ذهباً؛ لكن ما إن يوشك الدلو على الامتلاء فإنه يجب عليك أن تعلمني بحقيقة الأمر، لأنّه لا يجوز بحال من الأحوال أن تسقط قطعة واحدة من الذهب على الأرض. إن يحصل هذا تلق حظاً سيئاً».

وهكذا فإن الأخ الأكبر، مرتعشاً من اللهفة، حمل دلوه بحسب ما وجّه، وفي الحال أخذ دفق القطع الذهبية ينصبّ من فم الأسد في الدلو.

من حين لحين هزّ هذا المتطلع إلى ما ليس له الدلو باستخفاف لكي يجعل الذهب يتوضَّع بعضه مع بعض جيداً فيحصل بذلك على أعظم كميّة؛ وإذ غلبه الطمع، لم يستطع أن يحمل نفسه على إعلام الأسد بأنّ الدلو يوشك على الامتلاء حتّى إنه طفح ووقعت على الأرض قطعة ذهبية انزلقت من رأس الكومة. لمّا مسّت الأرض انقطع دفق الذهب فجأة، وقال الأسد بصوت خشن:

«القطعة الذهبية الكبرى على الإطلاق علقت في حلقي. ضع يدك في فمي واستخرجها».

عند سماع الأخ الأكبر هذا دفع يده في الحال في فم الأسد، أملاً منه في الحصول على كتلة كبيرة من الذهب؛ وما إن فعل ذلك حتى أمسك الأسد به بسرعة مطبقاً فكّيه. ذهب سدى كفاحه وتحريكه ذراعه جيئة وذهاباً محاولاً تخليصها؛ لقد أمسك به الفكّان الحجريان للأسد بإحكام بحيث إنّه عجز كليّاً عن الإفلات، أما الأسد، الذي أصمّ أذنيه عن كل صلواته وتوسلاته، فقد ارتدّ على نحو ظاهر إلى تمثال حجري بلا إحساس. والأسوأ من كل ذلك هو أنه لما نظر إلى دلو ذهبه فقد رأى، لرعبه، أنّه بدلاً من الذهب لا يحتوي إلا الحجارة والتراب.

عند دنو المساء أحسّت زوجة الأخ الأكبر بالقلق لغياب زوجها، وإذ كانت تعلم الجهة التي ذهب فيها، فقد انطلقت إلى سفح التل بحثاً عنه. بعد أن فتّشت لبعض الوقت التقت به مصادفة، فسألته ماذا كان يفعل ولماذا لم يرجع إلى المنزل.

قال: «أوه، يا زوجتي، لقد حدث لي أمر مريع. لقد أدخلت يدي في فم الأسد لأستخرج كتلة من الذهب علقت في حلقه، وإذ به يطبق فجأة فكيه ويمسك ذراعي بإحكام، وأنا الآن عاجز عن الإفلات».

بكت المرأة المسكينة، عند سماع هذا، وانتحبت، لكن كل توسلاتها إلى الأسد لم تُجدِ نفعاً، فانصرفت إلى منزلها، وسرعان ما رجعت حاملة بعض الطعام لزوجها. كل يوم، طوال أيام كثيرة بعد ذلك، ظلت ترجع إلى زوجها، آتية إليه بالمؤن التي يتطلبها بقاؤه حيّاً؛ لكن لما عدمت الآن من يعمل لأجلها، ووجب عليها إعالة زوجها وولدها كليّاً بجهودها هي، فقد أصبحت أكثر فقراً فأكثر بالتدريج، وسرعان ما توجب عليها بيع سلعها المنزلية لتأمين الطعام الضروري.

انصرمت شهور، وأخيراً وقعت المرأة المسكينة، التي مرضت، في حال من العوز الكامل بحيث لم تبقَ عندها لقمة خبز تجلبها لزوجها، وذات صباح جاءت فصعدت التل باكية، وخاطبته كما يلي:

«لقد بعت كل شيء في المنزل، وليس عندي الآن مال لشراء أي طعام، ما من نفاية في أي مكان بقيت للأكل، فلم يبق لنا الآن إلا أن نموت جوعاً».

عند سماع الأسد هذا أحس بالدغدغة بحيث إنه لم يمكنه أن يمسك نفسه عن الضحك.

«ها! ها!» قالها وفتح فكيه العظيمين.

سحب الرجل ذراعه بأسرع ما أمكنه، وقبل أن يتسنى للأسد إطباق فمه مرة أخرى، وإذ وجد نفسه حراً، فقد أسرع من فوره ينزل التل مع زوجته. ثم إنهما، آخذين طفلهما معهما، مضيا مباشرة إلى منزل الأخ الأصغر، وإذ رويا له قصتهما كاملة، فقد توسلا إليه أن ينقذهما من شقائهما. أنّب الشاب أخاه على تصرفه الجشع في محاولة الحصول على مدد إضافي من الذهب من الأسد رغماً عن إنذاره؛ لكنه وافق أخيراً، لطبيعته المتسامحة جداً، على تزويد أخيه بمبلغ من المال يكفيه، على الأقل، لأخذ مزرعة صغيرة في الجوار. هنا استقر الأخ المتكبر وزوجته في ظروف وضيعة جداً، أمّا الابن الأصغر فعاش سنين طويلة سعيداً جداً مع أمه ونجح نجاحاً باهراً في كل ما قام به.

خادم اللاما

كان لاما مسنّ يسكن في منزل صغير على ذروة تل في منطقة منعزلة من التبت. كان تقيّاً جداً أمضى وقته كليّاً بالتأمل الديني، وكان الشخص الوحيد الذي قَبِله في منزله هو شاب من نسب وضيع، عمل كخادم له واعتاد أن يطبخ له وجباته ويؤدي واجباته المنزلية الأخرى. كان هذا الرجل شخصية عظيمة على طريقته، لقد كان امرأً ظريفاً ومغرماً بالمزاح، لكنه لا يعول عليه البتّة ولا يستطيع أداء أيّ من الأعمال المألوفة.

الآن كان الغذاء المعتاد للاما المسنّ، وفقاً لأركان دينه، غذاء قليل جداً، ولقد أحجم كليّاً عن إزهاق حياة أي كائن حي. وهكذا تكوّن طعامه في الأغلب من طحين الشعير والزبدة وهلم جرّاً، وقد امتنع عن اللحم من كل نوع. لكن أسلوب الحياة هذا لم يكن ساراً للخادم، رين – دزين، البتة، فلقد كانت له شخصية سليمة وحاول دائباً إقناع اللاما بأن يجيز له أن يقتل ضأناً أو ماعزاً لعله ينال وجبة شافية. لكنّ هذا ما رفضه اللاما دائماً رفضاً قاطعاً، فقد حرَّم على خادمه أن يهلك بحال من الأحوال كائناً حياً.

لاحظ الخادم ذات يوم خروفاً سميناً رائعاً يَجول بالقرب من منزل اللاما، وقد انفصل عن بقيّة القطيع. وهكذا طارده وأمسك به، وبعد أن حمله إلى الطابق الأرضي من المنزل، صعد إلى الغرفة التي فوق، وبعد أن أدلى حبلاً من خلال ثقب في الأرضية فقد ربط بإحكام عقدة منزلقة في الطرف الآخر من الحبل حول رقبة الخروف. بعد أن عمل هذه الترتيبات مضى فدخل الغرفة المجاورة، حيث كان اللاما، كالمعتاد، جالساً وحده مستغرقاً في التأمل الديني، أصم عن كل الشؤون الدنيوية.

قال الخادم مخاطباً الرجل المسن: «أوه أيها اللاما، لقد جئت أخبرك أنني وجدت الآن خروفاً لجيراننا، الذين يسكنون تحت في الوادي، كان يجول بالقرب من المنزل؛ لذلك وخشية أن تأكله الذئاب، فقد أمسكت به وربطته تحت في الغرفة. لكنه خروف عنيفٌ جدّاً وهو يكافح باستماتة للخلاص. هلا تلطفت فأمسكت بالحبل وقتاً قصيراً بينما أذهب لأُعلم مالك الخروف بمكانه؟».

شرع اللاما المسن، الذي لم يرفض قط طلباً معقولاً، شرع من فوره في فِعل ما طُلب منه، فقام من مجلسه وتبع الخادم إلى الغرفة المجاورة.

«رجاءً أمسك بهذا الحبل»، قال الخادم، وهو يسلّم اللاما الطرف الحر من الحبل الذي رُبط به الخروف، «فإذا أخذ الخروف في الكفاح، اسحب بشدة بقدر استطاعتك كي تمنعه من الإفلات».

وفقاً لذلك أمسك اللاما بالحبل، ونزل الخادم إلى الطابق السفلي كما لو أنه عزم على مغادرة المنزل. لكن بدلاً من أن يفعل ذلك، فقد دخل إلى الغرفة التي رُبط فيها الخروف وأخذ ينخس الحيوان بعود مدبب، فأخذ الخروف يكافح بعنف، محاولاً الفرار من معذبه. كلما ازداد كفاح الخروف تحت، ازداد سحب اللاما فوق، وأخيراً، ولما كان شد الحبل قد استمر لدقائق، فقد خنقت الخروف العقدة المنزلقة التي حول رقبته.

بعد مرور ساعة أو ساعتين رجع الخادم إلى اللاما في الغرفة العليا وأعلمه أن الخروف قد مات موتاً طبيعياً بينما كان غائباً يبحث عن مالكه، واقترح مستحسناً في هذه الظروف أن يقطعوه ويطبخوه طعاماً لهما. وافق اللاما المسن، الذي لم يرتَبْ في شيء، وافق على هذا، فاستطاع الخادم أن يأكل لبضعة أيام كفايته من لحم الضأن الممتاز.

لكن اتفق أن الولد الراعي الموكّل بالخروف كان قد جاء إلى منزل اللاما بحثاً عن الخروف الذي فقده، وإذ نظر خلسة من النافذة فقد رأى كل ما حصل. أخبر والديه بالقصة، فغضبا غضباً شديداً، وأتيا يشتكيان إلى اللاما تصرف خادمه.

غضب اللاما المسن لغدر مرافقه وشره غضباً شديداً، فصرفه فوراً آمراً إياه بالرحيل وعدم الرجوع مرة أخرى أبداً. وهكذا انصرف المعلم رين – دزين، ومتعلقاته القليلة على ظهره، وسار إلى العالم يحاول أن يدبر حظه.

لقد اكتأب أول الأمر اكتئاباً عظيماً، لكنه لما كان امرأً خلياً خفيف القلب بطبعه فقد استرد مرحه، وسار قدماً على الطريق يغنّي بابتهاج جاعلاً نظره الحاد يبحث عن أي شيء قد يبرز. لم يمض بعيداً حتى التقى شاباً آخر يمضي مثله في الجهة نفسها، ترافق الاثنان وبدأا في حديث. سرعان ما قصّ رين– دزين على صديقه الشاب كل مغامراته الأخيرة، وأعلمه أنّه مهموم للحصول على قليل من المال.

أجاب الغريب: «حسناً جداً، يا أخي، أنا هو الرجل الذي عنده العون لك، إذ يجب أن تعلم أنني لص بالمهنة، وأنا دائماً أفتش عما يجلبه لي الحظ. وهكذا فإننا سوف نتصاحب، وسوف يكون الحظ سيئاً حقاً إن لم نتمكن من النجاح في أن نكتشف صدفة شيئاً مربحاً قبل انقضاء أيام طويلة».

وهكذا سارا معاً قدماً وعند اقتراب المساء وصلا إلى منزل كبير قائم في وادٍ خصب. تقدّم اللصّ وحده بغية الاستعلام، وسرعان ما رجع إلى رين –دزين بالمعلومات التي جمعها. أخبره خدم المنزل أن المالك قد مات قبل يوم، وأنه الآن في غرفته الخاصة بانتظار دفنه. قريبته الوحيدة هي ابنته، وهي الوارثة لكامل الملكية، وهي الآن تندب أباها وحدها في المنزل الكبير. أضف إلى هذا أن اللص قد علم أن الرجل الميت كان له فيما مضى ابنٌ، قد هرب من المنزل منذ سنين طويلة ولم يُسمع عنه خبر قط بعد ذلك.

قال لرين – دزين: «الآن، عندي خطة أقترحها عليك. تسلق فادخل من النافذة إلى الغرفة حيث يتمدد جسد الرجل الميت بانتظار الدفن، وأَخْفِ نفسك في مكان ما. حالما تكون مستعداً أذهبُ أنا إلى سيدة المنزل وأعلمها بأنني أخوها، الذي عاد إلى المنزل بعد تيه سنين طويلة. من المرجَّح أنّها سوف

تكذّب قصتي، وسأقترح أن تستشير في الأمر جثمان أبيها. عندما تدخل الغرفة التي يتمدد فيه الجثمان أخاطبها أنا، فأسألها ألست الابن الذي طال فَقْده، وإذ ذاك يجب عليك أن تجيب بأنني هو. بهذا الدليل سوف أضمن ما لا يقل عن نصف الممتلكات، ولسوف أتقاسمه معك بالطبع. لكن احذر ألا تغادر الغرفة بحال من الأحوال قبل الصباح، وإلا فمن المؤكد أن تكتشفك الكلاب التي تجول حول المنزل ليلاً».

وافق رين – دزين على هذا الاقتراح، ودخل متسلقاً من النافذة إلى غرفة الرجل الميت، وبعد أن أخفى نفسه بالقرب من الجثمان، انتظر مجيء صديقه. في غضون ذلك تقدم اللص بجسارة من الباب الأمامي ودقه دقاً عالياً؛ ولما أذن له الخدم، ذهب مباشرة إلى غرفة سيدة المنزل الشابة.

قالت: «من أنت؟ وماذا تريد؟».

أجاب: « أوه! يا أختي، أنا أخوك الذي طال فَقْدُه؛ ألا تميزينني؟».

قالت: «لا، من المستحيل عليّ أن أميزك، لأنني إنما كنتُ طفلة صغيرة لما هربت. لا يمكن لأحد أن يعرفك سوى والدي وهو، يا حسرتاه، قد مات بالأمس».

أجاب اللص: « هذا محزن جداً، لأنه سوف يكون من الصعب عليَّ حقاً أن أثبت صحة قصتي. لكن فلنَدْخل إلى الغرفة حيث يتمدد جثمان أبي، ولنسأله هل أنا ابنه الذي طال فقده أم لا».

وافقت الفتاة على هذا، ودخل الاثنان معاً الغرفة حيث كان جثمان الرجل المسن يجلس محزوماً بحسب العادة في التبت.

«هل أنت هنا، يا أبي؟» قال اللص، وقد دخل الغرفة المظلمة؛ فأجاب رين – دزين، بصوت كئيب: «آه».

استمر اللص قائلاً: « لقد جئت لأسألك، هل أنا ابنك الذي طال فقده أم لا».

أجاب رين – دزين: «أنت هو».

وعند سماع اللص هذا انسحب من فوره، تتبعه الفتاة الشابة، التي اقتنعت الآن تماماً بهويته.

قال اللص، مخاطباً إياها لما صارا وحدهما معاً: «الآن، يا أختاه، تدركين أن روايتي صحيحة، لكن لسوء الحظ لا أستطيع الإقامة هنا لأن أمراً عاجلاً يحملني على المغادرة في ليلتي هذه. لذلك سوف أنقل لك ملكية المنزل وكامل الممتلكات العقارية، وكل ما أطلبه منك نصيباً لي من الممتلكات هو حقيبة من الذهب، كبيرة بقدر ما أستطيع حمله معي».

قبلت الفتاة هذه الشروط، وسلمت اللص حقيبة ثقيلة من الذهب. ثمّ إنّه ودَّعها وانطلق بغنيمته راحلاً بأسرع ما يمكنه، تاركاً رين – دزين خلفه في الغرفة مثل الجثمان.

في باكر الصباح التالي، تسلق رين – دزين نازلاً من النافذة، وبعد أن دار فأتى إلى مقدمة المنزل، سأل السيدة أين هو أخوها.

قالت: «أوه! لقد أعطيته حقيبة كبيرة من الذهب ليلة أمس، وانطلق من فوره بأسرع ما يمكنه».

لما سمع رين – دزين هذا غضب حقاً غضباً شديداً بسبب غدر اللص، فصمم على تعقّبه ومعاقبته. وهكذا، وبعد أن استعار فرساً من سيدة المنزل، انطلق يجري سريعاً على الطريق بأسرع ما يمكنه. قرب منتصف النهار، وبينما كان يجري متقدماً بسرعة، رأى اللص أمامه على مسافة، جالساً في ظل شجرة يستريح؛ ولعدم معرفته بأن لدى رين – دزين فرساً، لم ير أن من الضروري المضي بسرعة كبيرة.

لما أبصر رين – دزين اللص، كان أول ما خطر له هو المضي إليه من فوره ومطالبته بنصيبه من الذهب، لكن لما فكر في الأمر قليلاً تذكر أنّه بينما هو غير مسلح، فإن اللص يمتلك سيفاً وبندقية معاً. فلو أنه دخل معه في شجار فمن المرجح أنه سيكون الخاسر. وهكذا، انحنى على رقبة فرسه، وإذ تظاهر بأنه لم ير اللص، فقد جرى على الطريق واجتازه بسرعة، كما لو أنه في

مطاردة محمومة. ما إن صار خارج مجال الرؤية من مكان جلوس اللص حتى شدّ فرسه إلى جدار، أخذ أحد زوجي جزمة جديدة من رزمة على ظهره، ثم رماه وسط الطريق، ثم تابع طريقه مسافة قليلة إلى الأمام، وهناك أخذ زوج الجزمة الآخر من رزمته ورماه أيضاً وسط الطريق. بعد أن فعل هذا، تنحى عن الطريق وأخفى نفسه وفرسه في أجمة قريبة.

ما إن غاب رين – دزين عن البصر وهو يجري بسرعة حتى هنأ اللص نفسه على كونه لم يرَ، وحمل حقيبة ذهبه واستأنف رحلته. بعد أن مشى قليلاً، صادف أحد زوجي جزمة جديدة ملقى وسط الطريق.

قال في نفسه: «آه! ذلك الأحمق أسقط أحد زوجي جزمته لسرعته. لكن واحداً من الزوجين لا يستحق أن يُلتقط؛ لا جدوى منه البتّة. وآسفاً لأنّه لم يسقط الزوجين كليهما».

وهكذا واصل مسيره، تاركاً زوج الجزمة حيث هو. حميت الشمس الآن كثيراً، وأخذ اللص يحس بالتعب إلى حد ما، وهو يحمل حقيبة ذهبه الثقيلة، ولما وصل إلى المكان حيث كان زوج الجزمة الآخر ملقى، كان قد أرهق تقريباً.

«ها لو»، قال لنفسه لما أبصر زوج الجزمة الثاني، «ها هنا الزوج الآخر. هذه حقاً فرصة طيبة جداً لا تُضيّع؛ يجب عليّ بالتأكيد أن أرجع من فوري وألتقط الزوج الأول، وحينئذ سوف يكون لي زوجان من جزمة جديدة بالمجان. لكنني لا أستطيع حمل حقيبة الذهب الثقيلة هذه وأرجع بها الطريق كلّها».

وإذ قال هذا في نفسه، فقد أخفى حقيبة الذهب تحت كومة من العشب على جانب الطريق، وانطلق راجعاً على أعقابه ليلتقط زوج الجزمة الأول. لم يكد يغيب عن البصر حتى خرج رين – دزين من مخبئه، وبعد أن التقط حقيبة الذهب، حزمها بسرجه وركب وسار في طريقه.

بلاد الفئران

يحكى أن ملكاً كان يحكم بلاداً ذات رقعة واسعة يعيش فيها عدد كبير من الفئران. على وجه العموم كانت الفئران في حالة رخاء وعندها القدر الوافي مما تأكله، لكن صادف ذات سنة أن كانت محاصيل البلاد قليلة جداً، فوجدت الفئران، التي تقتات غالباً على بقايا الحبوب التي تُترك بعد الحصاد، أن مخازنها سوف تفرغ قبل آخر الشتاء. وهكذا قرر ملك الفئران أن يرفع عريضةً إلى ملك البلاد يطلب فيها أن يقرض الفئران الحبوب التي تطلبها شرط أن تُرد كامل الكمية في السنة التالية.

وهكذا ارتدى أحسن ثيابه وانطلق ذات صباحٍ إلى قصر الملك. لما بلغ باب القصر سأله البواب إلى أين يذهب.

أجاب الفأر: «أوه! أريد لقاء ملك البلاد، فعندي عريضة أقدمها إليه».

لما سمع الملك بأنّ فأراً يريد لقاءه استظرف الأمر جداً، وأمر أن يؤذن للحيوان الصغير بالدخول عليه.

لمّا دخل الفأر إلى حضرة الملك تقدّم في قاعة الاستقبال يمشي ببطء حاملاً في يده خيطاً صغيراً من الحرير، قدمه هدية إلى الملك، بدلاً من الوشاح المراسمي المعتاد[١].

قال الملك: «صباح الخير، يا أخي الفأر، ما عساي أفعل لك؟».

أجاب الفأر: «أوه، أيها الملك، فلتعلم أنّ محاصيلنا هذه السنة لم تكفنا، وأن المجاعة تهددنا ما لم نقترض حباً كافياً يُخرجنا من الشتاء، لذلك جئت إلى

(١) هذا موافق للعادة التبتية، وفيها يهدى الوشاح على نحو ثابت في مناسبات المراسم.

هنا، أنا ملك الفئران، أسألك إذا كان من الممكن أن تمدنا بالعون في هذا الأمر. إن كان بإمكانك أن تقرضنا الحب الذي نطلبه، فسنرده بإخلاص مع الفائدة عند الحصاد التالي».

قال الملك: «حسناً، كم مقدار الحب الذي تريدونه؟».

قال الفأر: «أعتقد أننا سوف نحتاج إلى واحد ملآن من أهرائك[١] الكبيرة».

قال الملك: «لكن لو أنني أعطيتك هُريّاً مليئاً بالحب فكيف سوف تنقله؟».

قال الفأر:«دع الأمر لي؛ إن أعطيتنا الحب تولينا أمر نقله».

وهكذا وافق الملك أن يقدم للفئران واحداً من أهرائه العظيمة مليئاً بالشعير، فأمر موظفيه بفتح الأبواب على مصارعها، وترك الفئران تنقل منه بالمقدار الذي تحب.

تلك الليلة استدعى ملك الفئران رعاياه كلهم فجمعهم، فغزت بمئات آلافها الكثيرة الهري، والتقط كل واحد منها قدر ما يستطيع حمله من الحب، أخذه في فمه وعلى ظهره وفي ذيله مطوياً عليه، ولما فرغوا من الأمر كان الهري قد فرغ، فلم تبقَ فيه حبة شعير واحدة.

في الصباح التالي، لما خرج الملك لينظر إلى هريه، دهش دهشة شديدة إذ وجد أن الفئران قد استطاعت أن تُفرغه على هذا النحو الفعّال، ولقد وقعت قواها في نفسه موقعاً عظيماً؛ ولما وفى ملك الفئران بوعده، في الربيع التالي، فردّ القرض الذي أخذه من ملك البلاد مع الفوائد، رأى الأخير أن الفئران أهل للثقة وذكية أيضاً.

الآن صادف بعد هذا بقليل أن اشتبك ملك البلاد في الحرب مع مملكة مجاورة، تقع على الجانب الآخر من النهر الذي يشكّل الحد بين البلدين. كان

---

(١) مفردها هُري مخزن الطعام – المترجم.

البلد الآخر أغنى من البلد حيث تسكن الفئران وأقوى بكثير، وسرعان ما حشد ملكها جيشاً ضخماً على الضفة المقابلة من النهر وأخذ يعدّ العدّة للغزو.

لما سمعت الفئران بما كان يحصل، حزنت كثيراً، فلقد خافت أن الجيش إذا دخل بلادها وأهلك صديقها الملك، فإنها ستعاني مصاعب كبيرة تحت حكم حاكم غريب؛ وهكذا خرج ملك الفئران مرة أخرى ليزور ملك البلاد، ولما وصل إلى القصر طلب مقابلة جلالته. مُنح له هذا من فوره، وإذ وجد الملك يبدو مكتئباً جداً، فقد خاطبه كما يلي:

«جئت إليك مرة ثانية، أيها الملك، لأرى هل أستطيع أن أنفعك بشيء. لما كنتُ هنا آخر مرة أسديتَ إليّ وإلى شعبي معروفاً عظيماً نحن نشكره لك إلى الأبد، فإذا كان في مقدورنا الآن أن نساعدك بحال من الأحوال، فسيكون من دواعي سرورنا أن نبذل في ذلك وسعنا».

أحسّ الملك، مع حزنه، بالظرف الشديد لسماع هذه الكلمات من الفأر.

قال: «عجباً ماذا تستطيع الفئران أن تفعل لمعونتي في مأزقي الحاضر؟ نحن مهددون بالغزو من جيش أجنبي، يفوق جيشي عدداً بآلاف كثيرة، وكل الرجال الذين أستطيع حشدهم غير كافين لتمكيني من رد العدو. لا أرى كيف تستطيع الفئران تقديم العون لي».

أجاب الفأر: «ألا تذكر، أيها الملك، أنني لما كنت هنا آخر مرة أنك شككت في قدرتنا على نقل الحب الذي أعطيتنا إياه، أو رد القرض لك؟ ومع ذلك فلقد أثبتنا أننا قادرون على فعل الأمرين. كل ما نسألك إياه الآن هو أن تضع فينا ثقتك مرة أخرى، فإذا قمت بفعل شيء أو شيئين نطلبهما منك، قمنا نحن بتخليصك من الجيش الغازي».

أُفحم الملك جداً بملاحظة الفأر هذه، فأجاب:

«حسناً جداً، ما تقوله هو حق تماماً؛ فإذا أعلمتني بما ترغب أن أفعله، قمت بتنفيذ نصيبي من الصفقة».

أجاب الفأر: «حسناً، إذاً، كل ما نرغب منك فِعْله هو أن تزودنا بحلول مساء الغد بمئة ألف عود، طول كل عود نحو قدم[١]، وأن تأمر بوضعها في صفوف على ضفة النهر. إن قمت بفعل هذا، قمنا من طرفنا بدرء الغزو المهدد وبوضع الجيش المقابل في حال من الارتباك والذعر. وإن نجحنا في تنفيذ كل ما نعد به، فإننا نطلب منك للمستقبل أن تحمينا من الخطرين الأساسيين اللذين يتهددا وجود الفئران التي تعيش في بلادك».

أجاب الملك: «سوف أفعل مبتهجاً ما يمكنني لحمايتكم من هذين الخطرين لو أخبرتني كيف أمضي في ذلك».

استأنف الفأر قائلاً: «الخطران اللذان أشير إليهما هما الفيضان والقطط. ترى أن أكثر جحورنا هي في الأرض الواطئة بالقرب من النهر، وكلما ارتفع ماء النهر قليلاً طفح على هذا الريف المنبسط وفاض فأغرق أعشاشنا. ما نقترحه عليك هو أن تبني سداً متيناً على طول ضفة النهر بما يضمن أن الماء لا يستطيع أن يطفح داخل جحورنا. أما في ما يتعلق بالقطط، فهي دائماً المضطهدة للفئران، وإننا نسألك أن تنفيها كلياً من مملكتك».

أجاب الملك: «حسناً جداً، إن استطعتم النجاح في حرف الخطر الذي يتهددنا الآن، قمت بكل ما تطلبونه مني بهذا الصدد».

عند سماع ملك الفئران هذا حيّا الملك بعمق ورجع إلى رعاياه بأسرع ما أمكنه.

في المساء التالي صفَّ كل فئران مملكته البالغين، وفي وقت قريب من الغسق قاد جيشاً عظيماً تعداده بضع مئات الآلاف إلى حافة النهر، وهناك وجد العيدان ممددة كلها بحسب ما رتّب مع الملك. وفقاً للتوجيهات التي تلقتها الفئران، فقد شرعت من فورها تُنزل هذه العيدان إلى النهر ثم تركبها، كل اثنين أو ثلاثة على حدة؛ وهكذا، وإذ أخذت تدفع مبتعدة عن الضفة، فقد أبحرت تعبر النهر وسرعان ما رست على الجانب المقابل.

---

(١) في نسخة أخرى من القصة يرد ذكر أقراص من روث الياك المجفف بدلاً من العيدان.

الآن وقد حلك الظلام، كان جنود العدو جميعاً نياماً في معسكرهم، بعضهم مضطجع في الخيام وبعضهم في العراء، وأسلحتهم بجانبهم تأهباً لأي إنذار بالخطر.

تفرقت الفئران، بكلمة أمر صدرت من ملكها، تفرقت دون إبطاء في أرجاء المعسكر النائم، وأخذ كل واحد منها يُحدث أكبر ما يمكنه من الإتلاف في أقصر مدة ممكنة من الوقت. بعضها قرض أوتار الأقواس وحمالات بنادق الجنود؛ وبعضها قضم عيدان الثقاب البطيء والفتائل؛ أما بعضها الآخر فمزق ثياب الرجال النائمين وضفائرهم. في الحقيقة، لقد هاجمت الفئران بضراوة كل شيء يمكن لأسنانها أن تؤثر فيه، وسرعان ما تحولت الخيام والمخازن والحبوب والمؤن من كل نوع إلى مِزَق أو تبعثرت مختلطة في كل جهة؛ وبعد عمل ساعتين اجتمعت الفئران كلها عند ضفة النهر، ركبت أعوادها من جديد، وأبحرت بهدوء إلى شاطئها دون أن يكتشف العدو أمرها، أو حتى أن تثير إنذاراً.

الصباح التالي عند طلوع النهار، تصاعدت في معسكر العدو صيحة عالية عظيمة. كل رجل، عند قيامه من نومه، وجد نفسه في حال مفجعة: ثيابه مِزق، وضفيرته مقصوصة، وقوسه بلا وتر، وبندقيته دون حمالة، وهو دون فتيلة أو عود ثقاب بطيء لإشعالها، ودون زاد للفطور. أخذ كل واحد يتهم الآخر بالسرقة والخيانة، ولم تمر دقائق طويلة حتى صار المعسكر بكامله في حال من الاضطراب المسعور، رفيق يشاجر رفيقاً أو يتهم ضباطه بعدم الأمانة وسوء النية.

وسط هذا الصخب سُمع صوت أبواق على الضفة الأخرى، وأُطلقت طلقات قليلة؛ دبَّ الفزع في الجيش بكامله ظنّاً بأنهم أخذوا على حين غرة، فركنوا إلى الفرار، وفي دقائق قليلة لم يعُد يُشاهد رجل واحد.

لما شاهد ملك بلاد الفئران ما حصل ابتهج ابتهاجاً عظيماً، وأرسل وراء ملك الفئران وشكره بإخلاص على خدماته الجيدة. وعملاً بالصفقة التي عقداها، فقد عمل من فوره على تشييد سد متين على طول جانبه من النهر للحماية من الفيضانات، وأصدر أمراً عالياً يحرم على الأشخاص جميعاً، تحت طائلة عقوبة الموت، امتلاك هرة من أي نوع من ذلك الحين فصاعداً داخل حدود بلاده، وهكذا عاشت الفئران بأمان وسعادة بعدئذ وإلى الأبد.

ولأجل تحقيق الأمان في وجه أية محاولة أخرى للغزو من جانب المملكة المجاورة، فقد أرسل الملك رسولاً عبر النهر إلى حاكم تلك البلاد، قائلاً إنه هذه المرة قد رأى أن الأمر يستحق فقط استخدام فئرانه لهزيمة أعدائه؛ لكنه إذا تعرض للتهديد مرة أخرى، فهو مستعد ليستخدم أولاً كل حيوانات البلاد الأليفة؛ فإذا لم تفلح، لجأ إلى الوحوش البرية؛ وفي حال فشلها، كان جاهزاً لأن يأتي بنفسه مع محاربيه لإحداث النتائج المرغوبة.

لما سمع حاكم البلاد الأخرى هذه الرسالة رأى أنه من الحكمة عقد معاهدة سلام فوراً، إذ ليس له أمل في هزيمة المحاربين والوحوش البرية في بلاد أظهرت فئرانها براعة وشجاعة كالتي أظهرتها. وهكذا أقام البلدان علاقات ودية بعدئذ لسنين طويلة؛ أما الفئران، التي أمنت الفيضان والقطط، فقد عاشت بسعادة وسلامة، وتلقت كل سنة من ملك البلاد ملء هري من الحبوب هدية مجانية عرفاناً وشكراً للخدمات التي قدمتها في وقت الحاجة.

الغيلم والقرد

كان غيلم[١] مسن يعيش مع زوجته وأسرته في بحيرة عظيمة، قام على حدودها دغل واسع، وكان في الغابة حيوانات برية كثيرة، وخصوصاً منها القرود، التي عجّت بأعدادها الكبيرة شواطئ البحيرة كلها.

صادف ذات يوم أن خرج الغيلم من البحيرة وذهب يتمشى بين الأشجار التي نمت بالقرب من الماء. بعد أن مشى مسافة أحس بالجوع، وإذ نظر إلى الأعلى إلى شجرة جوز هند، وجد نفسه بجانبها، تمنى في نفسه لو أنه ينال إحدى ثمار جوز الهند التي برزت بالقرب من القمة. قام ببضع محاولات خرقاء لتسلق الشجرة، لكن الساق كانت مستقيمة وملساء جداً بحيث عجز تماماً عن النجاح، وكان على وشك الكف عن المحاولة يائساً فإذا به يلمح قرداً كبيراً جالساً بين الأغصان. أحس القرد، الذي كان يراقب محاولات الغيلم تسلُّق الشجرة بشيء من الفضول، أحس بالأسف لفشله، وإذ لاحظ أن الغيلم جميل بالغ ذو صدفة جميلة جداً، فقد فكر في إسداء معروف له، وهكذا قطف واحدة من ثمار جوز الهند أو اثنتين، ورماهما إلى الغيلم الذي أكل الثمر شاكراً.

الآن دخل الحيوانان في حديث أحدهما مع الآخر، وسرعان ما عقدا صداقة حقيقية، فأخذ القرد بيد الغيلم وقاده داخل الدغل، وأطلعه على كهف مريح ليمضي الليل فيه. اهتمّ الغيلم بكل ما رآه اهتماماً بالغاً، ولقد سرَّ من صديقه القرد بحيث إنه بقي في الغابة بضعة أيام، يتحرك في النهار، وينام مع القرد في الكهف كل ليلة.

---

(١) هو ذكر السلاحف – المترجم.

في غضون ذلك داخَلَ القلقُ السيدةَ سلحفاة بسبب طول غياب زوجها. لم يسبق له قط أن غاب عن المنزل هذا الغياب الطويل، وهكذا أرسلت أخيراً أحد السلاحف الصغار ليبحث عن أبيه وما حاله. وفقاً لذلك سبح صغير السلحفاة إلى البر، وبعد أن فتّش في الغابة بعض الوقت صادف أباهُ بالقرب من الكهف.

قال: «صباح الخير، يا أبي، لقد أرسلتني أمي لأرى أين أنت وما حالك».

أجاب الغيلم الأب: «أوه، أنا بخير، يا ولدي، قل لأمك أن لا داعي لقلقها عليَّ. صديقي، أخي القرد، وأنا نمضي وقتاً طيباً في الغابة، ولسوف أرجع إلى المنزل بعد أيام قليلة. اركض الآن وعُد إلى أمك».

وهكذا عاد صغير السلحفاة إلى أمه وحدّثها بما حصل. لم تُسرّ السيدة سلحفاة البتة بتصرّف زوجها.

قالت في نفسها: «هذا وقت رجوعه إلى زوجته وأسرته، بدلاً من تسلية نفسه مع قرد سوقي في الغابة».

وهكذا أرسلت الولد من جديد إلى أبيه، برسالة تقول إن السيدة سلحفاة مريضة جداً، وإن طبيبها أخبرها أن الشيء الوحيد الذي يشفيها هو قلب قرد. وهكذا يجب عليه أن يعود من فوره إلى منزله وأن يجلب معه قرداً.

وفقاً لذلك مضى صغير السلحفاة يفتّش عن أبيه مرة أخرى، وما إن لقيه حتى بلَّغه رسالة السيدة سلحفاة. عند سماع السيد غيلم خبر مرض زوجته ارتاع كثيراً، وأنَّب نفسه على غيابه هذه المدّة الطويلة؛ ولأجل تدبير الدواء الضروري لزوجته فقد أعلم صديقه القرد أنه ملزم بالعودة إلى المنزل من فوره لأمر عاجل، ودعا القرد إلى المجيء وتمضية أيام قليلة في منزله. قبِلَ القرد دعوة صديقه، وانطلق الاثنان معاً إلى شواطئ البحيرة.

لما علم القرد أنه من الضروري له دخول البحيرة، ارتاع، وأشار إلى الغيلم أنه لم ينزل إلى الماء قط، وأنه يخشى أن يكون من العسير عليه بلوغ منزل الغيلم.

قال الغيلم: «لا تخشَ هذا الأمر، يا أخي القرد؛ يمكنني تدبير ذلك ببساطة تامّة. إن تركب على ظهري أسبح بك حيث نريد الذهاب».

وهكذا ركب القرد على ظهر الغيلم، وشرع الغيلم يسبح إلى منزله.

وبينما كانا يعبران البحيرة أخذ الغيلم يحدث القرد عن مرض زوجته، وبينما كان يفعل ذلك زلَّ لسانه بحماقة قائلاً إنّ الدواء الوحيد لشفائها هو قلب قرد. عند سماع القرد لهذا ذعر ذعراً شديداً، ورأى أنه كان يساق إلى فخ.

قال: «ويلي، يا أخي الغيلم، لقد أحزنني جداً سماع خبر مرض زوجتك، لكن ما دامت حالها سيئة إلى هذا الحد فأنا لا أعتقد أن قلب قرد واحد سيكون كافياً. أعتقد أن الأمر يتطلب ما لا يقل عن ثلاثة أو أربعة ليكون الشفاء. فإذا أحببت، يمكنني أن أجعل بضعة قردة أخرى من أصدقائي يرافقوننا إلى منزلك».

حسِب الغيلم أن هذه فكرة جيدة، فوافق على حمل القرد والعودة به إلى الشاطئ وانتظاره هناك بينما ينصرف هو لإحضار بعض القردة الأخرى. وهكذا استدار وسبح عائداً في البحيرة حتى وصل إلى الحافة، وهناك خاض خارجاً إلى الشاطئ.

ما إن وجد القرد نفسه على أرض يابسة حتى وثب عن ظهر الغيلم بأسرع ما أمكنه، وتسلق قمة أطول شجرة استطاع أن يجدها في طرفة عين. عند بلوغه قمة الشجرة أخذ يشتم الغيلم ويناديه بأقذع الأسماء التي خطرت بباله.

قال: «يا لك من صديق لطيف إذ تطلب إلي أن أزورك في منزلك لتقتلني وتستعمل قلبي دواءً لزوجتك القبيحة. هل تدعو ذلك جزاءً مناسباً لملاطفتي إياك، ولإطلاعي إياك على كل أرجاء الدغل؟ لكنني كنت أذكى منك هذه المرة، وسوف يتعيّن عليك أن تدبر أمرك دون قلبي في الأيام الطويلة الآتية. أما قلوب القردة الأخرى التي وعدتك بها – حسناً، فلتنتظر حتى تعثر عليها بنفسك[1].

---

(١) يؤسفني القول إنه لا يمكن إيراد كلمات القرد الحقيقية حرفياً.

غضب الغيلم، عند سماع هذه الكلمات، غضباً عنيفاً، وأجرى بضع محاولات لتسلق الشجرة لمعاقبة القرد، لكنه ولعجزه التام عن التسلق كلياً، لسرعان ما عزف عن محاولته وصمم على النيل من القرد بطريقة أخرى. وهكذا خبأ نفسه في الماء حتى المساء، وما إن حل الغسق حتى خرج إلى البر ومضى بهدوء شديد إلى الكهف حيث أقام هو والقرد معاً، وأخفى نفسه في أظلم زاوية منه منتظراً دخول القرد.

لكن القرد كان أذكى بكثير من أن يعلق في فخ بسيط مثل هذا. لما آن الأوان المعتاد لذهابه إلى الفراش، جاء إلى فم الكهف، ونادى بصوتٍ عالٍ وهو ينظر في الداخل:

«أيها الكهف العظيم! أيها الكهف العظيم!».

انكمش الغيلم في زاويته المظلمة ولم يصدر أية علامة على الحياة.

بعد صمت دقائق قليلة نادى القرد من جديد:

«أيها الكهف العظيم! أيها الكهف العظيم!».

ظل الغيلم منكمشاً ولم يصدر أية علامة.

قال القرد لنفسه بنبرة صوت مسموعة: «إنه لأمر غريب، غريب جداً! لقد كان من المعتاد دائماً أن يكون في هذا الكهف صدى، لكنني لا أسمع الليلة أقل صدى. في الأمر خطأ حتماً»، وإذ قال هذا فقد نادى من جديد:

«أيها الكهف العظيم! أيها الكهف العظيم!».

وإذ ظن الغيلم الأحمق أنه لو حاكى الصدى فإن القرد سوف يدخل الكهف كالمعتاد، بناءً على هذا فقد أجاب من زاويته المظلمة:

«أيها الكهف العظيم! أيها الكهف العظيم!».

عند سماع القرد هذا ضحك في نفسه ضحكة خافتة من بساطة الغيلم، وانصرف لينام في ناحية أخرى من الغابة.

باتشا وباكي من بلاد روم

يحكى أنه كان في بلاد روم ملك يدعى باتشا تزوج أميرة شابة من مملكة مجاورة وعاش معها حياة سعيدة جداً لفترة قصيرة. لكن صادف أن الملك والملكة كليهما يتمتعان بعقل ميال إلى الجدل، فكانا يتنازعان دائماً أحدهما مع الآخر في كل أنواع التوافه، وإذ لم يكن أحدهما يتنازل قط للآخر، فقد كان الأمر ينتهي بهما عموماً إلى الشجار. لم يسرَّ الملك، الذي كان رجلاً متكبراً وعنيداً، لم يسره البتة أن تتجرأ زوجته على التمسك برأيها خلافاً لرأيه، وبالتدريج صار غاضباً عليها جداً.

ذات ليلة لما كان الاثنان جالسين معاً بعد العشاء، أخذ ثعلب في ضباحه خارج القصر.

قال الملك: «آه! هل تسمعين ذلك النمر يزأر؟».

أجابت الملكة: «ذلك، يا عزيزي، ليس نمراً، بل ثعلب».

قال الملك: «قطعاً لا! أتظنين أنني لا أعرف النمر إذا سمعته؟ ما من شك في أنه نمر».

عارضته الملكة من جديد، فنشب جدال حامٍ، لم يقنع فيه أحدهما الآخر. وأخيراً، قال الملك إنه لا يطيق احتمال هذا الجدال بعدُ، وإنه سوف يرفع المسألة إلى مجلسه غداً لأخذ القرار. إذا وافق المجلس على أنه مخطئ، فإنه سوف يرسَل لينجرف على جذع خشبي في النهر العظيم الذي يجري ماراً بالقصر؛ أما إذا وجد أن الملكة على خطأ، فسوف تعاني هذا المصير.

وهكذا دعا الملك في اليوم التالي إلى اجتماع المجلس، وكان مؤلفاً من جميع رجال العلم وأكثر وزرائه حكمة. لما اتخذوا جميعاً مجلسهم في غرفة المجلس، خاطبهم كما يلي:

قال: «ليلة أمس أخذ أحد الوحوش يزمجر خارج القصر. لقد تمسكت بالقول أنه نمر؛ الملكة جزمت بأنه ثعلب. أرغب في عرض المسألة عليكم لاتخاذ قرار. إذا قررتم أنه كان ثعلباً، وافقت على أن أُرسَل لأنجرف على جذع خشبي في النهر العظيم الجاري المار بقصري؛ أما إذا رأيتم أن الحيوان كان نمراً، فإن الملكة هي التي سوف تعاني من هذه العقوبة».

قال الملك هذا وانسحب، تاركاً وزراءه للفصل في المسألة. بعد أن قلّب المستشارون الرأي في الأمر لبعض الوقت، استدعوا إلى محضرهم بضعة فلاحين يقيمون في الجوار، وإذ اتفق هؤلاء جميعاً على أنه لم يأتِ قط نمر إلى مسافة أميال كثيرة من القصر، أما الثعالب فهي تجوس هناك كل ليلة، فقد اتضح للمجلس أن الملك كان على خطأ. لكن قبل أخذ أي قرار، قام أكبر المستشارين سناً وخاطب المجتمعين كما يلي:

قال: «يظهر لي أن الملك، بلا شك، على خطأ في هذه المسألة؛ لكنني أحب أن ألفت عنايتكم إلى أننا إذا أعلنا قرارنا بهذه النتيجة، فإن عاقبة ذلك سوف تكون أن نبقى بلا ملكنا، وأن تكون ملكة هي الحاكمة علينا. هذه، كما تعلمون، حال للأمور أبعد ما تكون عن المرغوب. لذلك فإنني أقترح أنه رغم رأينا الحقيقي في الأمر فإنه ينبغي علينا أن نصدر إعلاناً عاماً فحواه أن الملك قد كان على صواب في مناقشته».

وافق الآخرون على كلمات الحكمة هذه، ومضى المستشارون معاً إلى قاعة عرش الملك وأعلموه علانية أنهم قد خلصوا بعد مداولة وافية إلى الاستنتاج بأنه كان، بلا ريب، على صواب. سُرَّ الملك سروراً عظيماً لسماع إثبات رأيه، فأعطى أوامره من فوره بأن تُرسَل الملكة لتنجرف على جذع خشبي في النهر. وهكذا أُخذت الملكة المسكينة إلى ضفة النهر، وبعد أن ركبت جذعاً خشبياً فقد مضت طافية مع النهر العظيم.

بعد أن سارت طافية بضع ساعات حملها التيار أخيراً إلى الضفة المقابلة، على مسافة أميال كثيرة من بلدها، وما إن بلغت المياه الضحلة حتى خاضت فبلغت الشاطئ ونظرت حولها. كانت البلاد تبدو على مدى نظرها سهلاً عظيماً واحداً، يغطيه العشب العالي، الذي يكاد يستحيل على أي أحد أن يشق طريقه فيه؛ لكن بعد أن فتشت حيناً، تبيَّنت فجوة صغيرة في العشب، قادتها إلى ممر لولبي ضيق، فمشت فيه مسافة طويلة. بعد مسيرٍ وصلت فجأة إلى موضعٍ فضاءٍ من الأرض المعشبة نزع منه العشب، وسطه رجل مسن جداً، ذو لحية بيضاء تصل إلى وسطه تقريباً، وقد جلس أمام موقد صغير يطبخ طعاماً له.

قالت الملكة لما رأته: «صباح الخير، يا سيدي، هلا أعطيتني لقمة من الزاد، فأنا جائعة جداً».

أجاب الرجل المسن: «بالتأكيد، يا سيدتي؛ مرحباً بك إلى كل ما أملك»، وإذ قال هذا فقد قدَّم لها كامل زاده.

لما تناولت الملكة وجبة جيدة، خاطبها الرجل المسن كما يلي:

قال: «فلتعلمي أني ساحر، أسكن هذا المرج، وعليك أن تلتزمي بدقة التوجيهات التي سوف أعطيها لك الآن. يجب أولاً أن تسلكي الممر الضيق الذي سوف يقودك إلى قمة تل صغير، وعند وصولك هناك سوف يولد لك ولد. هذا الولد ليس طفلاً بشرياً، بل هو تجسيد للاما مقدس جداً، له خصائص عجائبي، وسوف يكون قادراً على المشي والكلام منذ مولده. اسمه باكي، ويجب أن تتبعيه حيثما يمضي».

شكرت الملكة الرجل المسن على نصيحته، وإذ سلكت الطريق الضيق، لسرعان ما قادها إلى قمة تل صغير؛ وهناك وضعت ولداً، كما تنبأ الساحر، ذا طبيعة عجائبي، واستطاع من فوره المشي والكلام. مضى الولد قدماً بلا تردد سائراً على الطريق، تتبعه أمه، وبعد أن سارا مسافة خرجا من دغل العشب العظيم إلى أرض فضاء محروثة.

الآن صادف في ذلك اليوم أن خرج أبناء ملك تلك البلاد الثلاثة للصيد معاً، وفي سيرهم راكبين بحثاً عن طريدة صادفوا بغتة الملكة وابنها. بعد أن سمعوا قصتها، حملوها وولدها على فرس إلى قصر الملك. جعلهما الملك من فوره تحت حمايته، وأعطى الأوامر بأن يربى الولد مع أبنائه هو، وأن يقيم مع أمه في غرف في القصر.

نما باكي سريعاً جمالاً وقامة، وسرعان ما أصبح خبيراً في كل الرياضات والألعاب. ذات يوم خرج هو وأبناء الملك الثلاثة إلى الصيد معاً، فاتفق أن صادفوا فجأة أنثى أيل جميلة بلون الثلج، وثبت أمامهم وجرت بسرعة نحو الجبال. انطلق الشبان الأربعة من فورهم يطاردونها؛ لكن الأفراس التي يركبها أبناء الملك تعبت بالتدريج، فخرجت من المطاردة واحدةً فواحدة، تاركة باكي يستمر وحده. مع استمرار المطاردة أخذت الأيل الأنثى المسكينة تُظهر علامات الإرهاق، أما باكي، الذي كان يلحق بها على أعقابها قريباً، فكان يحس بالثقة أنه سرعان ما سيمسك بها. وفجأة جرت الأيل الأنثى بسرعة مباشرة إلى ما بدا أنه صخرة شديدة الانحدار، ولما لمست الصخرة بخطمها، انزاحت مبتعدة كاشفة عن كهف عظيم داخلها؛ ولما اجتازت عتبة الكهف سقط جلدها عنها، فظهرت في صورة امرأة شابة جميلة. باكي، الذي كان من فطرة شجاعة جداً، لم يتردد لحظة، بل وثب عن فرسه فتبع السيدة داخل الكهف، ولم يكد يدخل حتى أُغلقت الأبواب الصخرية وراءه بصوت عالٍ كهزيم الرعد. إذ تبع صورة السيدة في ممر ضيق، فقد برز حالاً في حجرة خفية عظيمة، محفورة وسط الصخرة ذات أثاث فخم وإضاءة ساطعة، فيها صف من الأعمدة الزجاجية العظيمة تمتد نحو المركز.

في غضون ذلك اتخذت الفتاة مجلسها على سرير في إحدى زوايا الغرفة، وسألت الشاب، مخاطبة إياه، من هو، وما المعنى الذي أراده باقتحام خلوة سيدة على هذا النحو. اعتذر الأمير، وشرح ظروف القضية بأحسن ما يمكنه، وإذ ذاك خاطبته كما يلي:

قالت: «فلتعلم أن المكان الذي تجد الآن نفسك فيه هو مقر غول رهيب محب للدماء، وأنا، التي من البشر مثلك، قد وقعت في يده منذ زمن، وهو ينوي أن يتخذني زوجته عما قريب. في غضون ذلك علَّمني رقى سحرية معينة تمكّنني من التحول إلى أي حيوان أحب، ومن المجيء والذهاب كما أحب؛ لكن دون مساعدة أحد البشر فمن المستحيل علي الإفلات من مخالبه. لكن سوف نتكلم بالمزيد فيما يتعلق بهذه الأمور غداً. لقد دنا الآن وقت عودة الغول، فإذا وجدك هنا قتلك بلا ريب وبلا أدنى تردد، فلتختبئ الآن قبل عودته».

وإذ قالت هذا فقد تقدمت إلى العمود الزجاجي المركزي، وفكَّت جزءاً منه لولبياً وأرته تجويفاً داخله، أخفى فيه نفسه.

لم يكد يخبئ نفسه بأمان داخل العمود حتى تحرَّك باب الكهف فانفتح، ودخل الغرفة المركزية غول ضخم. نادى السيدة الشابة إليه، وأمرها أن تأتيه بعشائه، وبعد أن تناول وجبة فاخرة جلس على بعض الوسائد وأخذ يعزف على الغيتار. عند أول صوت من الموسيقا أخذت أعمدة الغرفة بأسرها، باستثناء التي اختبأ فيها باكي، أخذت في الرقص ببطء وجلال، عموده وحده بقي ثابتاً ودون اهتزاز. لما رأى الغول أن أحد الأعمدة لم يرقص كالمعتاد غضب جداً، أمسك في يده بمطرقة عظيمة وتقدم نحوه مهدداً بتحطيمه إلى آلاف الكسر؛ لكن السيدة الشابة توسلت إليه أن يُبقي عليه، ممسكة إياه من ذراعه.

قالت: «انظر إلى موضع العمود. إنه أكثر الأعمدة مركزية وأعظمها جميعاً. إنه بلا شك يشعر بإحساس من الجلال ويرغب في أن يتميز عن البقية. على كل حال استبقِه الليلة، ومن الراجح أنه سوف يرقص غداً كالمعتاد».

وافق الغول على هذا، وبعد ذلك بقليل انسحب ليستريح.

في الصباح التالي ومع طلوع النهار خرج إلى شأنه، وما إن انصرف حتى فتحت الفتاة العمود وأطلقت باكي، وبعد أن قدمت إليه فطوراً جيداً، كلّمته.

قالت: «إنه لأمر صعب جداً على البشري أن يقتل غولاً، لأنه مهما ألحقت بجسده من ضرر فإنه لا جدوى من ذلك ما لم تتلف أيضاً الشيء الذي يُمسك لروحه قوامها. الآن هذا الوجود الخاص للغول يتوقف على حياة ببغاء أخضر، مخبأ بعناية بعيداً عن عيون البشر، لكنني تحققت من المكان الذي هو فيه، وسوف أشرح لك كيف تعثر عليه. خلف الصخرة التي نقيم الآن فيها سوف تجد صخرة عظيمة أخرى قائمة بمفردها. يجب أن تذهب إلى هذه، وأن تركلها ثلاث مرات بقدمك اليمنى، وأن تصيح مع كل ركلة: «أيها الغراب العظيم، افتح الباب». مع نطقك بهذه الكلمات في المرة الثالثة سوف يفتح الباب، كاشفاً عن كهف عظيم، في مركزه سوف تجد ببغاء أخضر جُعل مجلسه على حجر أحمر. إن استطعت قتل هذا الببغاء استطعت أيضاً إهلاك الغول دون خطر يحيق بك».

عند سماع باكي هذا قطع من فوره وعداً باتباع توجيهات السيدة، فأطلقته من الكهف. وإذ استدار إلى مؤخرة الصخرة فقد وجد نفسه وجهاً لوجه أمام صخرة عظيمة أخرى قائمة بمفردها. ركل هذه الصخرة ثلاث مرات بقدمه اليمنى، فقد نطق بالكلمات السحرية، ولما قالها للمرة الثالثة انفتح بابان صخريان على مصراعيهما، كاشفين عن كهف داخلهما. عندما دخل الكهف رأى ببغاء أخضر جُعل مجلسه على حجر أحمر في المركز، فأمسك من فوره بالطائر ولوى عنقه. ما إن أنجز هذا حتى رجع بسرعة يجري إلى الكهف الأساسي، ولما دنا من المدخل رأى الغول، الذي كان راجعاً إلى منزله، متمدداً في عرض حجر العتبة ميتاً، وقد لويت عنقه تماماً. ابتهجت السيدة الشابة ابتهاجاً عظيماً بالنتيجة الناجحة لمغامرتهما، وانطلق الاثنان من فورهما، تاركين جسد الغول وراءهما، إلى عاصمة البلاد، حيث يقوم قصر الملك.

عند الوصول إلى العاصمة قرر باكي أن يستأجر منزلاً صغيراً، يؤوي فيه السيدة الشابة ويبدل ملابسه قبل المضي لتقديم احترامه للملك؛ وهكذا أخذ منزلاً في الضواحي، وترك السيدة هناك بينما خرج هو إلى الشوارع ليسمع الأخبار. سرعان ما اكتشف أن الملك قد أعلن في غيابه عن عزمه الزواج من أم باكي،

وأن السيدة المسكينة، التي ليس لها الآن ابن يحميها، قد احتجت عبثاً، قائلة إنها زوجة لآخر. سخط باكي سخطاً شديداً لما سمع بهذا التصرف الغادر من جهة الملك، فعزم على إحباط خططه. وهكذا رجع إلى السيدة الشابة فقصَّ عليها كل ما سمعه.

قالت: «لا تقلق. إن تتبع نصيحتي أدلك كيف تتغلب على الملك».

وعلّمته من فورها رقى سحرية معينة تعلمتها من الغول.

مضى باكي إلى القصر من فوره، متسلحاً بهذه الرقى. لما وصل إلى الفناء اتخذ مجلسه على الكتلة التي يرتقي الملك عليها فرسه وغمغم بالرقية الضرورية فتحول من فوره إلى قوقعة ضخمة. بعد أن تمدد على الكتلة بعض الوقت اتفق أن أحد سائسي الخيل في القصر قد مرَّ به، وإذ رأى الصَدَفة فقد وقف لينظر إليها، وقال لنفسه ملاحظاً:

«يا للقوقعة الجميلة!».

«نعم، أنا صدَفة جميلة جداً». أجابت القوقعة، ما أفزع السائس وأدهشه.

قال: «عجباً، أي نوع من الصَدَف أنت؟ ماذا تعرفين عن القواقع، أو ما سوى ذلك؟».

قالت الصدفة: «أعرف الكثير. مثال ذلك أنني أستطيع أن أخبر الملك بشيء عن الأمير باكي، شيء ربما لا يحب أن يسمعه».

لما سمع السائس هذا جرى مباشرة إلى القصر وأعلم الوزير الأكبر بكل ما قالته الصدفة. أخبر الوزير الملك بالأمر، فأعطى الملك الأوامر بأن تجلب الصدفة حالاً إلى حضرته وتوضع على طاولة أمامه. لما فُعل هذا خاطب الملك الصدفة قائلاً:

«ما أنت، ماذا تعلمين عن الأمير باكي؟».

أجابت الصدفة: «أقول لك أنَّكَ لو حاولت الزواج من أم الأمير باكي لوجدت نفسك في حال غير سارة البتة».

عند سماع الملك هذا غضب غضباً شديداً، وأمر أحد خدمه بجلب مطرقة كبيرة ليحطم الصدفة كِسَراً، قائلاً إنه لن يرهبه كلام شيء صغير حقير كالصدفة. وهكذا أتى أحد الخدم بمطرقة ضرب بها الصدفة ضربة عنيفة فكسرها نتفاً. في الحال انقلبت كل نتفة إلى رجل مسلّح، وظهر الأمير باكي نفسه وسطهم في صورته الحقيقية.

وقع الآن ارتباك عظيم في صفوف الحاشية؛ فهرب بعضهم في جهة، وبعضهم الآخر في جهة أخرى، بينما امتشق آخرون سيوفهم وتأهبوا لمقاتلة الغرباء. في غضون ذلك نظر الرجال المسلحون، وكانوا في الحقيقة شياطين، وُضِعوا مؤقتاً تحت إمرة الأمير باكي، نظروا بضراوة حولهم، ولوحوا بسيوفهم، أحاطوا الأمير صائحين: «من سنقتل ؟ من سنقتل؟».

أشار باكي الآن إلى الملك، وفي لحظة انقضت عصبة الرجال المسلحين عليه، فقطعوه إرباً، وغابوا مع صيحات النصر من خلال سقف القصر. لما رأت الحاشية ما حدث، أسرعوا فسجدوا أمام أقدام الساحر الذي له هذه القوة، ونصبوا باكي ملكاً عليهم.

ما إن جلس على عرشه حتى أرسل وراء السيدة الشابة التي أنقذها من كهف الغول، فتزوجها وعاشا بسعادة سنين طويلة. أما الملكة، أمه، فسرعان ما عادت إلى الملك باتشا، وإذ اتفقت معه على عدم المجادلة بعدُ في الأمور التافهة، فلم تقع بينهما مجادلات أو شجارات بعد ذلك، وحكما معاً مدة طويلة على مملكة راضية ومزدهرة.

الولد الذي تربى في منزله

١ - كيف عثر على الفيروزية المفقودة:

عاشت في التبت عجوز مات زوجها وتركها وحدها مع ابنها الوحيد.

مع نمو الولد كَبُر تعلُّق أمه به، وكرهت فراقه ولو للحظة. لقد خشيت أنه لو ترك المنزل وأخذ يطوف خارجاً بنفسه فلربما حصل له حادث ما، فتبقى وحيدة في شيخوختها. وهكذا كلما كبر ازداد حرصها عليه، إلى أن رأت أخيراً أنه من المستحيل تقييد الولد بعدُ، وأن من الضروري له أن يخرج إلى العالم سعياً وراء حظه، مثلما يفعل الشبان الآخرون الذين في سنه. وهكذا لما بلغ سن الخامسة عشرة انتظرت إلى اليوم الخامس عشر من الشهر السادس، وهو تاريخ ميمون، فاستدعت الولد إليها، أهدته طقماً جديداً من الثياب وفرساً وكلباً ومسدساً وسيفاً؛ وأخبرته بأنه الآن حر في ترك منزله والخروج إلى العالم ليسعى وراء حظه.

ابتهج الولد ابتهاجاً عظيماً باستلامه هذه الهبات وبالأمل في مواجهة بعض المغامرات، وهكذا امتطى فرسه، بعد أن ودَّع أمه، وانطلق على الطريق والكلب يهرول على أعقابه. سار النهار كله راكباً وحده دون أن يلاقي أية مغامرات، ومع اقتراب المساء وصل إلى نجد عال بالقرب من قمة سلسلة من الجبال. لما كان يعبر النجد وثب ثعلب أمامه وجرى نحو الجبال. لما رأى الكلب الثعلب، انطلق يطارده؛ أما الشاب، الذي تفكّر في حصوله أخيراً على لهو، فقد جرى وراء الكلب بأسرع ما يمكنه.

بعد أن جرى الثعلب مسافة غاب فجأة في جحره، أما الولد، الذي وصل راكباً، فقد ترجّل عند فم الحفرة، وأخذ يخطط كيف يمسك بالثعلب عند خروجه. وهكذا نزع عباءته[١] وربطها بالسرج مع سيفه ومسدسه، ثم جعل فرسه على مسافة قصيرة من أحد جانبي جحر الثعلب، بينما وقف كلبه متأهباً على الجانب الآخر؛ أما هو فنزع قبعته ووضعها على فم الحفرة، وإذ أخذ حجراً عظيماً في يده، فقد ربض متأهباً لقتل الثعلب عند خروجه.

بعد الجلوس منتظراً لبعض الوقت انطلق الثعلب فجأة كالسهم خارجاً من جحره، وانطلق يجري نحو التلال، وقد التصقت قبعة الولد برأسه. لقد حدث الأمر فجأة بحيث إنه لم يكن لديه الوقت ليضربه بحجره، أو اعتراضه في هروبه. انطلق الكلب، لما رأى الثعلب يخرج، من فوره ملاحقاً إياه؛ والفرس، الذي أهاجته صيحات الكلب، جرى بسرعة خلف الاثنين، وفي لحظات قليلة كان ثلاثتهم قد غابوا عن البصر في العتمة الحالكة. خلال لحظة وجد الولد المسكين نفسه مجرداً من كل ممتلكاته: فرسه وكلبه ومسدسه وسيفه وقبعته، بل أيضاً ثوبه الخارجي، الذي ربطه بسرجه، كل ذلك قد اختفى. بعد أن جرى وراء فرسه مسافة كفَّ يائساً، واضطجع ليقضي الليل في أحسن حالة ممكنة تحت شجرة حور كبيرة.

استيقظ قرب الفجر، حين نظر إلى أغصان الشجرة، رأى عش غراب كبير، كانت تجلس فيه أنثى الغراب تحضن بيضها، أما الغراب الأب فقد جثم على غصن قريب. لما طلع النهار أخذ الغرابان يتحدثان أحدهما إلى الآخر.

قالت الأنثى التي في العش: «صباح الخير، أيها الغراب الأب، من النائم تحت شجرتنا؟».

أجاب الغراب الأب: «ذلك هو الولد الأحمق الذي تربى في منزله والذي ليست له خبرة بالعالم. في محاولته الإمساك بثعلب في الليلة الماضية فَقَدَ فرسه ومسدسه وسيفه وكلبه، بل ثيابه، وليس لديه الآن أدنى فكرة أين يعثر عليها».

---

(١) تشو – لو، بالتبتية، وهو الثوب الخارجي، الذي هو مثل المبذل الذي يرتديه التبتيون جميعاً.

أجابت الغراب الأم: «نعم، هكذا أرى أنا، لكن من الواضح، مع ذلك، أن كل ما عليه فعله هو الذهاب نحو القرى الواقعة في جهة المشرق من هنا – هناك سوف يلقى حظاً طيباً».

عند سماع الولد هذا انطلق من فوره في جهة المشرق، وبعد أن تقدّم مسافة قليلة، لقي رجلاً شحاذاً مسناً، فروى له كامل قصته، وسأله إن رأى بالصدفة ممتلكاته الضائعة. إذ رأى الرجل المسن أمامه فقط ولداً مسكيناً، دون حتى قبعة أو ثوب، فإنه لم يصدق كلمة من قصته، بل ضحك وسخر منه؛ وأخيراً لما غضب الولد، سدد إليه ضربة عنيفة، وتركه يمضي في طريقه حزيناً.

بعد أن تقدم قليلاً في تجواله، بلغ منزلاً كبيراً تقام فيه وليمة عرس. تقدَّم بخوف من باب المنزل، وأخذ ينظر إلى الضيوف خلسة، وبعد قليل مرّ أحد الخدم صدفة، فروى له قصته الحزينة. لكن حينئذ وقع بصر العريس عليه، فصاح بصوت خشن:

«من أنت يا مَنْ جئت تبكي هنا في وليمة عرسي؟ لا نريد وجوهاً كئيبة هنا اليوم فتجلب لنا سوء الحظ. انصرف، أيها المخلوق نذير الشؤم».

وهكذا انسل الولد المسكين خلسة منصرفاً حزيناً، وبعد أن تجول حتى حلول الليل وصل إلى منزل عظيم آخر على مسافة في جهة المشرق. بعد الاستقبال الذي تلقاه من أصحاب العرس فقد خشي الدخول أو القرع على الباب، وهكذا فقد زحف إلى الفناء الخلفي وحفر له مطموراً في كومة الزبال، وربض فيها من أجل الدفء، وقد اختفى بكامله إلا رأسه. على هذا النحو أمضى الليل مستريحاً بقدر كافٍ.

في باكر الصباح التالي أخذت خنازير ذلك المكان تفتش في الفناء وكومة الزبال، ولقد جسَّ عدد منها، وهي تمر، بفنطيستها[١] رأسه لترى هل هو شيء جيد للأكل. لم يستطع تحمل هذا طويلاً، وهكذا استجمع شجاعته أخيراً وذهب إلى باب

(١) فنطيسة الخنزير خطمه – المترجم.

المنزل الخلفي، وطلب من أحد الخدم أن يعيره سكيناً، قائلاً إنه يريدها ليقطع اللحم المقدد الذي يشكل فطوره. أعاره الخادم سكيناً، وما إن حصل عليها حتى أغرى أحد الخنازير إلى زاوية هادئة، وهناك قتله واجتز رأسه؛ وإذ أخذ معه بعض الشرائح الطولانية من لحمه، فقد رجع إلى مطمره في الزبال، وأخفى نفسه هناك من جديد، ومعه رأس الخنزير، منتظراً كي يرى ما سيظهر.

قرب الظهيرة خرجت سيدة المنزل إلى الفناء، وبينما كانت تتحرك في الأرجاء فتشرف على شتى العمليات الزراعية، سقطت فيروزية كبيرة وثمينة من تسريحة شعرها دون أن تلحظها. لما رجعت إلى المنزل، بعد دقائق قليلة، تاركة الفيروزية ملقاة وسط الفناء، قال الولد في نفسه إنها ستكون فرصة جيدة أن يأخذ الفيروزية لنفسه، لكنه خشي مفارقة مطمره خوفاً من أن يُلحظ؛ وهكذا التقط خرقة من وسط الزبال ورماها فجعلها فوق الفيروزية، تخفيها عن البصر.

بعد ذلك بقليل خرجت إحدى الخادمات من المنزل، وإذ رأت الخرقة ملقاة وسط الفناء، فقد التقطتها، ومعها الفيروزية، وحشرتهما في شق في الجدار.

حينئذ صدر صخب عظيم من المنزل، حيث اكتشفت السيدة أمر فقدان فيروزيتها. استدعي سكان المنزل بكامله، وكُلِّفوا بالبحث عن الجوهرة المفقودة. ساد نشاط صاخب عظيم لبعض الوقت، الكل يفتشون هنا وهناك، يدققون في كل حفرة وزاوية؛ لكن لم يفكر أحد بتفحص الخرقة القذرة التي حُشرت بلا مبالاة في شق في جدار فناء المزرعة.

حين وجدت سيدة المنزل أن مساعيهم كلها ذهبت سدى، أرسلت تستدعي بسرعة بالغة كل ما في الجوار من أشهر العرافين والسحرة واللامات، فلما وصل هؤلاء أخذوا بممارسة كل أنواع الرقى وبإلقاء كل وسائل التنبؤ أملاً منهم في اكتشاف ما قد حصل للفيروزية؛ لكن ذلك كله ذهب سدى، ولما اقترب حلول الليل لم يكن حظهم قد تحسّن.

عند المساء حزموا شتى أدواتهم ورقاهم السحرية، وانصرفوا كئيبين؛ ما إن انصرفوا حتى برز الولد من مخبئه، ذهب إلى المنزل بجسارة، وقال إنه ساحر

مشهور ويمكنه العثور على الفيروزية؛ وطلب أن يستدعى من جديد في الصباح التالي كل العرافين واللامات، وكذلك سكان كل المنازل المجاورة. مالت سيدة المنزل أولاً إلى السخرية من قدرة هذا الشحاذ ذي المنظر السيئ على إنجاز ما عجز عنه هؤلاء العرافون المشهورون؛ لكن لما فكرت أن الأمر يستحق إعطاء فرصة للولد، فقد قررت أن تفعل ما اقترحه، وفي غضون ذلك أمرت خدمها بأن يسمحوا له بتناول عشاء جيد، كان هو بحاجة ماسة إليه.

في الصباح التالي، نحو الساعة العاشرة، اجتمع حشد كبير من الناس في فناء المنزل. بالإضافة إلى السحرة واللامات الذين كانوا في اليوم الذي قبله، فقد أطاع الكثير الكثير من الجيران أمر الاستدعاء، وكان بينهم الذين أساؤوا معاملة الولد جداً أثناء وليمة الزفاف عندهم، وكذلك الشحاذ الذي سبّه وضربه. ما إن اتخذوا جميعاً مجالسهم صفوفاً متأهبين لرؤية ما سيحدث، حتى قدَّم الولد نفسه أمامهم جميعاً، حاملاً رأس الخنزير تحت ذراعه، وخاطبهم كما يلي:

قال: «الآن، في دقائق قليلة لي أمل في أن أستطيع اكتشاف الفيروزية المفقودة، فأنا حائز على خصائص سحرية ذات قوة غير معتادة. في بحثي سوف يساعدني رأس الخنزير المسحور هذا الذي أحمله تحت ذراعي. بفضل الرقية التي ألقيتها عليه، إنه يستطيع أن يكتشف من فوره اللص أو الخائن، وأن يكتشف أيضاً الممتلكات المسروقة».

إذ قال هذا فقد أخذ رأس الخنزير بيديه كلتيهما، وقام جاعلاً خطمه في جهة الجماعة، وأخذ يدور من شخص إلى شخص، متوقفاً لحظة أمام كل واحد منهم. لم يطل به الأمر حتى وصل أمام العريس، الذي كان وقحاً معه قبل ذلك بأيام، فأصبح رأس الخنزير من فوره هائجاً هياجاً عنيفاً، وظل يتحرك متجهاً نحو هذا الرجل.

قال الولد: «آه! من الواضح أن ها هنا رجلاً غير أمين؛ لا جدوى من المضي في بحثنا ما لم يُضرب ويُطرد من هنا».

أمسك الآخرون من فورهم بالرجل التعس، وبعد أن جلدوه جلداً مبرحاً، طردوه من المكان. كان يجلس إلى جواره الشحاذ الذي أهان الولد، والذي كذَّب قصته. هنا، مرة أخرى، أصبح رأس الخنزير هائجاً بعنف، فضُرب الشحاذ، أيضاً، وطُرد. إذ تخلص الولد من هذين الشخصين، فقد شرع الآن يمشي حول الفناء، وفنطيسة الخنزير تشم على نحو ظاهر وبعناية كل جزء من الجدار في أبنية المزرعة. ولم يطل به الأمر، فحين وصل إلى الشق الذي حشرت فيه الخادمة الخرقة، حرك رأس الخنزير بعنف جيئة وذهاباً.

صاح: «آه! الفيروزية المفقودة هي حتماً في مكان قريب من هنا».

لما سمع الكل هذا أخذوا في البحث في ذلك الجوار، وفي دقائق قليلة عُثر على الفيروزية داخل الخرقة المحشورة في شق الجدار.

ابتهجت ربة المنزل باكتشاف فيروزيتها ابتهاجاً عظيماً. أدخلت الولد إلى المنزل، وقدمت له طقم ثياب جديداً، وأعطته كل ما أراد لأكله وشربه، ثم ناولته مبلغاً عظيماً من المال، فسار في طريقه بحال أحسن بكثير من حاله لما وصل إلى هناك أولاً.

٢ – كيف استخرج العنكبوت من مكانها:

بعد مغادرة المنزل حيث عثر على الفيروزية، مضى الولد الذي تربى في منزله يجول حتى وصل، قرب حلول الليل، إلى شجرة الحور ذاتها، حيث أمضى ليلته سابقاً، وإذ استلقى تحت أغصانها، فقد غرق في النوم سريعاً، ولم يستيقظ إلا قريباً من الصبح.

ولما كان الفجر ينبلج أخذ الغرابان فوق رأسه يتحادثان أحدهما إلى الآخر كما قبل، ولقد سمع الولد حديثهما.

قالت الأنثى الجاثمة في العش: «صباح الخير، أيها الغراب الأب. ما الذي أخَّرك جداً الليلة الماضية؟».

أجاب الغراب الأب: «حسناً، الحقيقة هي أنني كنت أزور منزلاً في مزرعة هناك بعيداً، حيث صادف أن ربة المنزل كانت مريضة جداً. إنها تعاني من ألم مبرح في أذنها اليسرى، ألم كاد يُفقدها عقلها، وليس في المكان أحد يعرف ما هو ولا كيف يداوى. لقد استشاروا أشهر من في الجوار من أطباء ولامات لكن دون أن يسعفوها بشيء. والحق، إنه لا أحد يعلم سبب المرض إلا أنا. لقد تحققت أن الألم في رأسها مردّه إلى حقيقة أنه منذ أيام دخلت فيها عنكبوت كبيرة وهي نائمة، وأن العنكبوت وصغارها اتخذوا مقامهم الآن داخل رأس السيدة. من المستحيل استخراجها إلا بالحيلة. كما تعلمين، عند العناكب عادة هي النوم طوال أشهر الشتاء كلها، فلا تستيقظ وتخرج من مأواها إلا في الربيع. لو أمكن جعل العناكب تعتقد بأن الربيع قد حلَّ إذاً لخرجت من الأذن من فورها؛ دون ذلك سوف تبقى هناك طوال الشتاء».

أجابت الغراب الأم: «حقاً إن هذا الأمر مثير للاهتمام جداً؛ لكن كيف يمكن جعل العنكبوت تعتقد بأن الربيع قد جاء؟».

أجاب الغراب الأب: «ها هنا حيلة بسيطة جداً، كثيراً ما استخدمتها وهي كما يلي: يجب أولاً أن تُفرش قطعة قماش خضراء فوق طاولة وأن تُرش بالماء جيداً، ويجب على السيدة أن تضع أذنها فوق هذه بحيث يمكن للعناكب أن تراها. سوف تظهر لها كحقل أخضر، رطب بأمطار الربيع، وسوف تتخيل أنه قد آن الأوان للخروج؛ وحينئذ إذا ظلت تُبدي أي تلكؤ في الخروج، فلا يحتاج الأمر إلا لقرع طبل يحاكي الرعد. العواصف الرعدية، كما تعلمين، تحدث فقط في الربيع، والعناكب عند سماع هذه الجلبة سوف تقتنع بأن الربيع قد جاء حقاً، ولسوف تخرج دون مزيد تردد. في لحظة خروجها على الطاولة يجب أن تلفّ بالقماش بأكبر سرعة وأن تحمل خارجاً وتُقتل، لأنه إذا لم يُفعل هذا، فإنها سوف تكون دائماً مستعدة عند أدنى إنذار بالخطر إلى التسلق والعودة إلى أذنها بوساطة الخيوط التي تركتها وراءها معلقة».

شكرت الغراب الأم الغراب الأب على معلوماته، ثم قالت:

«لكن أنت لا تبدو بأحسن حال هذا الصباح، فما حالك؟».

قال: «حسناً، يؤسفني القول إنني أفرطت أمس في الأكل. لقد ظل أهل المنزل يصلّون للآلهة، ولقد انشغلوا طوال النهار في عمل التقدمات من الرز والطحين. لقد أُلقيت أكثر هذه التقدمات في الحديقة، فاستطعت أن آكل بقدر ما أحببت. في الحقيقة، لقد أكلت كثيراً جداً، وإنني خائف أنني سوف أموت. إذا متُّ، فَعِديني بإخلاص أن تحدّي عليّ، وفقاً للعادة التبتية، ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر وثلاثة أيام».

أظهرت الغراب الأم، عند سماعها هذا، تأثراً عظيماً، وتعهّدت جادة أن تنفذ رغبات زوجها، وبعد ذلك بوقت قصير لفظ الغراب المسن المسكين، وقد دخل العش، أنفاسه الأخيرة.

ما إن مات حتى حدَّثت الغراب الأم نفسها ملاحظة أن لديها الكثير مما تفعله للعناية بأسرتها مما يشغلها عن التفكير للحظة في اتباع عادة تافهة جداً مثل الحداد على طائر ميت لأية مدة كانت. وهكذا دفعت جسد الغراب الأب المسن خارج العش بمنقارها وتركته يسقط على الأرض تحت، أما هي فطارت طلباً للطعام للغربان الصغار، الذين فقسوا لتوّهم.

في غضون ذلك ذهب الولد، الذي أصغى بانتباه إلى حديث الغُرابين فوقه، ذهب مباشرة بحثاً عن المنزل حيث تعاني السيدة من الألم في أذنها، ولقد عزم في قرارة نفسه أن يجعل هذه فرصة أخرى لاستعراض قواه السحرية. سرعان ما وصل إلى المنزل المقصود، فوجد الأسرة بكاملها في حزن عظيم، وربة المنزل المسكينة تعاني العذابات من الألم في أذنها. ذهب إلى المنزل وسأل ما الأمر، وعند سماعه سبب أساهم أعلن من فوره أنه حائز على قوى سحرية رائعة جداً، وأنه مستعد لإحداث الشفاء. أهل المنزل الذين رأوه في اليوم السابق، لما عثر على الفيروزية، مالوا إلى تصديقه، فسألوه عمَّا ينبغي القيام به لجلب الفرج لسيدتهم.

أجاب: «كل ما يحتاجه الأمر هو قطعة مربعة من القماش الأخضر وشيء من الماء النظيف في إبريق وزوج من الطبول».

لما صارت هذه الأشياء جاهزة نشر قطعة القماش الأخضر على الطاولة ورشَّ شيئاً من الماء عليها، ثم أمر سيدة المنزل أن تنحني في عرض الطاولة بحيث تصبح أذنها الموجعة فوق بقعة القماش الأخضر. ما إن فعلت ذلك حتى ظنت العناكب التي في الداخل، وهي ترى المنفسح الأخضر والماء لا يزال عليه، أن الربيع قد أتى فأخذت في الحركة، والعنكبوت الأم المسنة أنزلت نفسها من فورها بخيط لترى هل الوقت هو ربيع حقاً.

دهش أهل المنزل دهشة عظيمة لمرأى العنكبوت خارجة لكن الولد أمرهم بألا يمسوها؛ ولما أقنعت نفسها بأن على القماش ماء حقاً، فقد تسلقت خيطها من جديد صاعدة، وعادت إلى أذن السيدة لتزف الخبر السعيد لأسرتها. أمر الولد الآن بأن يقرع الطبلان، وعند سماع هذا الصوت فإن كامل أسرة العنكبوت، إذ ظنت أن الضجة رعدٌ، وأن الربيع قد حلَّ بلا شك، فقد خرجت بسرعة من أذن السيدة وأنزلت نفسها، واحدة إثر واحدة، على القماش الأخضر. ما إن بلغت جميعاً، وهي سبع، الطاولة حتى خطف الولد قطعة القماش وحملها إلى الخارج، لافاً العناكب داخلها، وأهلكها.

شفيت سيدة المنزل كلياً الآن وأغدقت على الولد الهبات والتحيات، فخرج من المنزل حاملاً معه مبلغاً ضخماً من الذهب، بالإضافة إلى ما قد ناله في اليوم الذي قبله. حثَّ الآن خطاه نحو منزل أمه، ولما كان سائراً على الطريق إلى دياره لقي فجأة وجهاً لوجه الشحاذ المسن الذي أهانه سابقاً، والذي جعله هو يُضرب ويُطرد لما كان يبحث عن الفيروزية. لقد كان الرجل المسن، وهو حسود وحقود جداً، في غضب شديد على الولد، ولقد عزم على الانتقام لنفسه منه. لما كان الولد ماشياً على الطريق برز الشحاذ المسن فجأة من وراء أجمة شجيرات، حاملاً سيفاً بيمناه وذبابة في تجويف قبضة يسراه.

قال: «الآن، أنا أؤمن بأنك دجال. لقد ادّعيت مرتين قوى سحرية، أنت في الحقيقة لا تمتلكها، وأنا سوف أضعك أمام اختبار أخير. إن استطعت أن تخبرني ماذا أحمل في يسراي تركتك تمضي في سبيلك؛ لكن إن أخفقت في ذلك قتلتك فوراً بهذا السيف».

ارتاع الولد المسكين كثيراً عند سماع هذه الكلمات، وإذ لم يكن معه سلاح فقد كان تحت رحمة الرجل المسن على نحو كامل. وإذ كان لا يدري ما يقول، فقد أجاب:

«حسناً، إذاً، يمكنك أن تقتلني إن أحببت، لأنني في قبضتك كما لو كنت ذبابة تحملها في يسراك وتستطيع أن تحطمها كما تشاء».

دهش الرجل المسن دهشة شديدة عند سماع هذا الجواب، الذي بدا كبرهان على قوى الولد الغيبية وفي الحال أصبح أحد أشد المعجبين به حماساً؛ ولما كان قد رأى أين اختفى فرس الولد وكلبه معاً ومتعلقاته الأخرى عندما لحقت جميعاً بالثعلب، فقد استطاع أن يقود الولد إلى واد بعيد، وهناك عثر على فرسه وكلبه. وإذ استرد سيفه وبندقيته وثيابه وممتلكاته الأخرى، فقد امتطى فرسه ورجع، يتبعه كلبه، إلى منزل أمه ولداً أغنى بكثير مما كان لما غادره.

٣ -كيف هزم العدو:

عند عودة الولد الذي تربى في منزله إلى دياره وجد أنه الآن مشهور شهرة ملأت الآفاق لقواه السحرية المفترضة، وصار دائماً موضع مشورة الناس من كل الطبقات، الذين أرادوا مساعدته في شتى شؤونهم.

صادف أن حرباً نشبت، ليس بعد مدة طويلة من ذلك، مع بلاد مجاورة، ولقد أرسل الملك إلى الولد، فسأله إن كان يستطيع تقديم أية مساعدة في الحملة على العدو. ارتاع الولد من طلب الملك هذا لأنه لم يكن له أدنى علم كيف يقوم بهزيمة الخصم، لكنه لم يسمح لأية علامة من علامات التردد تظهر في طريقته، فأجاب بجسارة أنه مستعد للقيام بالعمل؛ وإذ ذاك أهداه الملك فرساً مهيباً جداً والتمس منه أن يبذل ما بوسعه.

صادف أن الولد كان في الواقع لا يحسن ركوب الخيل البتة، ولم تَدُرْ في خَلَده فكرة الركوب والقتال على فرس متوثب، لكنه لم يستطع رفض هبة الملك خوفاً من العار. وهكذا في باكر الصباح التالي، لما امتطى فرسه عازماً على الركوب

والخروج لاستطلاع معسكر العدو، لينظر ماذا يمكن فعله، أمر خادمه بتقييد قدميه معاً بحبل تحت بطن الفرس، بحيث لا يسقط إذا عدا به أو عمل به مقلباً. بعد أن سار مسافة وصل إلى قمة تل، ومن هناك استطاع أن يحصل على رؤية واضحة لمعسكر العدو، ولما كان جالساً على ظهر فرسه يراقب المنظر تحته فقد صوَّت بوق فجأة. أخافت جلبة البوق الفرس، الذي اندفع، بعد أن عطس مرة أو مرتين، اندفع ينزل التل يعدو بسرعة مباشرة نحو معسكر العدو.

فزع الولد المسكين من هذا الحدث المشؤوم فزعاً شديداً، وفعل كل ما أمكنه لإيقاف فرسه بشد اللجام وبتكليمه، لكن دون جدوى. قبيل الوصول إلى المعسكر مرَّ به الفرس تحت شجرة يابسة، وإذ رفع الولد يديه فقد أمسك بأحد الأغصان بكلتا يديه أملاً منه في كبح سرعة الفرس المسعورة؛ لكن الفرع اليابس انكسر في قبضته، واستمر الفرس في جريه السريع داخل المعسكر، والولد ماسك في يديه غصناً عظيماً من الشجرة.

اندفع الفرس هنا وهناك وسط خيم العدو، يدوس الجنود الفزعين تحت أقدامه، بينما كان الولد، وهو يكافح لحفظ توازنه، يدفع غصنه العظيم بقوة جيئة وذهاباً محدثاً تأثيراً مشؤوماً بنفس المقدار. أثناء جريه السريع انحلَّ شعره، فصار الآن يطير في الهواء، وزادت من هول مشهده صيحاته ومناشداته لفرسه. لم يرَ جنود العدو قط شيئاً ذا مظهر مهول كهذا قبلاً، ولقد خلصوا كلهم قاطبة إلى الاستنتاج بأنه حتماً وبلا ريب شيطان يهاجمهم، وأنه سرعان ما يدبّر هلاكهم الكامل. وهكذا بدلاً من مناوأته فقد حاولوا تهدئته واسترضاءه، عارضين عليه الخُمر الحريرية وهدايا أخرى وهو يجري بسرعة جيئة وذهاباً. لكنه لم يرد عليهم جواباً، واستمر يصيح في فرسه بضراوة.

عَدَّ الجنود هذه الصيحات تهديدات بالانتقام منهم[١]، وأخيراً قام القائد وكل الضباط الكبار، متقدمين دفعة واحدة حاملين الخُمُر، قاموا بالتوسل إليه

(١) ها هنا لعب بالألفاظ في الأصل التبتي يفسر القصد، لكن ترجمته غير ممكنة.

لعقد الصلح والسماح لهم بالرحيل بهدوء. الولد، الذي سمع ما قالوه، كان على أتم الرغبة في الموافقة، لكنه كان عاجزاً كلياً عن السيطرة على فرسه، وهكذا صاح فيهم بأنه قد قبِل خضوعهم بشرط أن يقدروا على إيقاف فرسه. وهكذا ركضوا على جانبيه كليهما فأمسكوا السرج وسرعان ما جعلوا الحيوان يقف وقوفاً تاماً، وعندها قبِل الولد استسلامهم رسمياً، وأملى عليهم شروط الصلح؛ أما هم فكانوا شاكرين جداً لمجرد نجاتهم من خطر كهذا، ولقد وافقوا مبتهجين على الانسحاب من فورهم إلى بلادهم.

لما سمع الملك بما حصل، أرسل وراء الولد وشكره من صميم قلبه على خدماته؛ ومكافأة منه على ما قد فعل، رقَّاه إلى أعلى رتبة، وأهداه أراضي وذهباً، وعاش الشاب وأمه بسعادة بعدئذ إلى الأبد.

فهرس

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٦م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة